مغامرات

أرسين لوبين

البيت الأسود



٥٠ مليما

الفصل الأول

جلس مارتن ديل قرب المدفأة يصطلي في هذا اليوم الشديد القر من ايام شهر يناير وهو متردد لا يقر له قرار : ايخرج الى نيويورك في هذا الطقس العاصف الممطر المكفهر التماسا للتسلية واللهو ، ام يقبع في داره ايثارا للدعة والسكينة والدفء ..

وانه لكذلك اذ رن جرس التليفون .. واذا المتكلم صديقه (تورن) المحامي الشيخ .. ومن عجب انه راح بكلمه في نبرات تشف عن ابلغ الانفعال وقد عهده مارتن ديل ابدا مثال الرصانة والجمود ، فلم يتمالك ان سأله :

– ماذا دهاك يا صاحبي ؟ هل مرضت زوجتك ؟

فاجاب (تورن) سلبا في صوت اجش لاهث وكأنه كان يركض ، فقال له مارتن ديل :

– اين كنت بحق الشيطان ؟ . اني قابلت (آن) امس فعلمت منها انها لم ترك منذ اسبوع .. وصحيح ان زوجتك اعتادت اهمالك في تلك المشاغل القضائية التي لا نهاية لها ، ولكن غيابك اسبوعا كاملا ....

– اصغ الي يا مارتن ، ولا تضيع وقتي ! . انا في اشد الحاجة الى مساعدتك .. فهل يمكنك مقابلتي على الرصيف رقم ٥٤ في خلال نصف ساعة ؟

– طبعا ..

فغمغم تورن كمن يحمد الله او ينفس الصعداء واردف قائلا في غير هوادة :

– جهز متاعك لغياب بضعة ايام .. وتزود على الاخص بمسدس .. بمسدس يا مارتن ! .. اسمع ؟ .

– نعم سامع يا تورن ..

– انا ذاهب الى الباخرة (كورونيا) التي سترسو على الرصيف صباح اليوم .. ومعي رجل يدعى الدكتور ريناخ .. واما صفتك فانت زميل لي في المهنة .. افهمت ؟. وليكن مسلكك حيالنا مشبعا بالحزم والشدة والبعد التام عن اللين والهوادة .. ولا تسأل رفيقي ، بل لا تسألني سؤالا واحدا .. ولا تدع له مجالا للتأثير فيك او زعزعتك .. مفهوم ؟ ..

فأجاب مارتن ديل :

– مفهوم .. وان كان الفهم محدودا .. هل من شيء آخر ؟ .

– بلغ (آن) سلامي واخبرها اني سأغيب اياما اخرى .. ولكن قل لها انك معي واني بخير .. ثم اطلب اليها ان تتصل بمكتبي تليفونيا لابلاغ (كروفورد) عن غيابي .

– تعني انه حتى زميلك وشريكك في المكتب لا يعرف شيئا عن حركاتك ونشاطك ؟ ! ..

لكن (تورن) ترك التليفون دون جواب .

– فوضع مارتن ديل السماعة عابسا وهو في عجب اي عجب من صاحبه .

فقد عرف (تورن) من عهد بعيد فوجده المواطن الهادىء الرصين والمحامي الناجح الذي تدور حياته على وتيرة جامدة بعيدة كل البعد عن اسباب التغيير المفاجىء والانقلاب العنيف ! وها هو ذا الان يراه غارقا حتى اذنيه في خضم من الخفاء والابهام ..

ومهما يكن ، فقد ابتسم مارتن ديل راضيا قرير العين واتصل تليفونيا بزوجة المحامي فطمأنها على زوجها ، وان هي الا دقائق حتى كان في سيارة تسابق به الريح الى الميناء وقد زود بحقيبته وتسلح بمسدسه .

الفصـــل الثـانى

ما كاد مارتن ديل يلقى نظرة على صاحبه (نورن) حتى اشفق من هذا الانقلاب الذى طرا على حالتـه والذى شغله برهة عن الاهتمـام برفيقـه البدين الواقف بجانبه على رصيف الميـنـــاء ..

فقد بدا له (نورن) تكمشا ضئيلا وكانما شاخ وطعن فى السن ، ونبتت فوق عارضيـه لحيـة قصيـرة وتجرد هندامه من هذه العنـاية التى عرف بها ، وصـافح مارتن ديل وهو يضغط على يده فى حرارة وقد لمعت عينـاه المحمرتان لمعانا خفيا وكانمـا سرى عنـه حين رآه قد خف اليـه وسـارع الى نجدته ..

ومهما يكن فان المحامى كتم شعوره وقال فى لهجـــة عـــادية :

ـ اهلا بك يا مارتن ! اننا سنضطر الى الانتظار اكثر مما قدرنا .. اقـدم اليك الدكتور هربرت ريشـاخ .. اعرفك يا دكتور بمارتن ديل .

فقـال مارتن ديل فى اقتضـاب وفى لهجة ادنى الى الجفاء وهو يلمس يد الطبيب المكســورة بالقفـاز :

ـ تشرفنــا ..

فرد الطبيب على تحيه مجاملا فى صوت عميق خـرج من حنـايا صـدره وكانمـا يخرج من كهف سحيق .. فالتفت مارتن ديل الى المحامى وقال وهو يشعل سيجارة :

ـ اين الباخرة (كورونيـــا) ؟ ..

فاجاب (نورن) : انهـا محجـــوزة فى (الكورنتينا) بسبب اصابة مرضية بين الركاب .. والمفهـوم ان حجزها سيستمر بضـع ساعات .. ما رايكم فى الذهاب الى غرفة الانتظار ؟

وفى غرفة الانتظار المزدحمـــة جلس مارتن ديل عن كثب من صاحبـه بحيث يراقب ما يدور على صفحتى وجهيهما .. فانشا (نورن) يقـول وكان للموضـوع سابقـة :

ـ لا ريب ان (اليس) متضايقة مللا .. لكن الملل صـفة ملازمة لاسرة (هيوز) ، على قلة معرفتى باطوار (سلفستر) الشيخ .. الا ترى هذا يادكتور ؟ . الواقع ان الانســان لا يملك الا ان يتضايق حتى قطع هذه المرحلة الطويلة قادما من انجلترا ، لكى يحجـر اخيرا فى المينـاء ! .

والحق ان مارتن ديل اطـــرى فى سره عـــذه المعلومات البارعة التى تطـوع بهـا المحامى الشيخ الداهيـــة لكى يزوده بما تيسر من البيانات .. وقد فهم منها انهم جاءوا لاستقبال من تدعى (اليس هيوز) التى قدمت من انجلتــــرا على الباخرة (كورونيـــا) ولعـل سلفستر الشيخ هو من اكابر اسرة (هيـوز) ومن اقرباء (اليـس) طبعـــا ..

وقال الدكتور ريشاخ وهو يصـوب عينيه الضيقتين الى حقيبة مارتن ديل :

ـ لعلك مسافر الى مكان .. يا مستر ديل ؟

ففهم مارتن ديل من هذا السـؤال ان الطبيب لا يعـرف انه سيلازمهم مهما تكن وجهتهم ، بينما تولى المحامى الجواب على سـؤال الطبيب ، فقال بلهجة ادنى الى العـداء :

ـ ان ديل سيذهب معى ..

فاجاب الطبيب البدين فى رقة وهو يطـرف بعينيـه الفارقتين فى وجهـــه المائى : احقــا ؟

وقـــال (نورن) فجـــاة :

ـ واحب ان اقول ان مارتن ديل زميلى فى المحـــاماة .. وقد احتذته هذه القضية ..

فقـال الطبيب البدين : قضية ! ؟ .

فقـــال المحامى :

ـ هذا وصف قضائى طبعـــا .. والواقع انى اردت ان اشركه لمساعدتى فى .. فى الدفاع عن مصـــالح (اليس هيوز) .. لعلك لا تمانع ؟..

فأجاب الطبيب فى حرارة وهو يسبل جفنيـه ويشبك يديه فوق بطنـه :

ـ كلا بتاتا .. والحق انى سعيد بلقائك يا مستر ديل ..

وقبع الطبيب فى مجلسه جامدا مسترخيا .. لكن مارتن ديل قدر ان وراء هذا الجبل الشحمى المترهل المتكاسل عزما وارادة ومضاء ..

وقال تورن اخيـرا فى اعيـاء :

ـ ما رايكم فى تناول طعام الغداء ؟ .. اننى اكاد اموت جوعا ..

وما وافت الساعة الثالثـة حتى كانوا واقفين على رصيف الميناء يشخصون الى الباخرة الكبيرة وهى تتهـادى الى مرساها . وقد استطاع مارتن ديل فى خـلال السـاعات القالئة ان يلم ببعض عنـاصر الموقف ..

فقد علم ان المدعو « سلفستر هيوز » قد توفى اخيـرا وكان فى حياته مصـابا بخلل عقـلى .. وان له دارا فى ضاحية نائية منعزلة فى « لونج ايلاند » وان (اليس هيوز) القادمة بالباخرة كورونيا هى ابنة المتوفى .. وكانت مفترقة عن ابيهـا منذ طفولتهـا ..

كما علم ان الدكتور ريناخ هـــو ربيب والد (سلفستر هيوز) وانه تكفل ايضا برعايته وعلاجه فى خلال مرضـــه الاخير .. وعلم فوق هـــذا ان الطبيب متـــزوج من ا
لم يعرف مارتن ديل موقفهـــا علـــى وجه التحديد من

القضية . وان ثمة ايضا عجوزا غريبة الاطوار هى شقيقة المتوفى ..

اما ماهية هذه القضية الغامضة الخفية التى حيرت المحامى تورن واثارت منه هذا الاضطراب الشديد الذى آنسه مارتن ديل فى طواره ، فهذا ما لم يستطع بعد ان يتادى اليـــه او ينفذ الى بواطنه ..

واذ القت السفينة مراسيها وساد الهـــرج والمرج فى كل مكان قال المحامى وهو يهتز انفعالا :

ـ ها هى ذى .. انى اعرفها اينمـــا تكن من صـــورها الفوتوغرافية .. هى تلـــك الفتاة النحيفة ذات القبعـــة السمـــراء ! .

وهرع تورن لاستقبال فتاة هيفاء مليحة موفورة الرشاقة ترتدى ملابس تشف عن البساطة والاقتصاد .. وعاد بها الى صاحبيـــه وهـــو يربت على يدها المكســـوة بالقفـــاز ويتحدث اليها فى هدوء ، اما هى فبدت مشرقة الوجه منبسطة الاسارير ظاهرة المرح حتى لقد اقتنع مارتن ديل من طوالع هيئتها انها تجهل كل الجهل ما ينتظرها من غوامض هـــذه القضية وخوافيها ، او من فواجعها ومآسيها .

واعربت الفتاة فى لهجة مهذبة وفى رطانة بريطانيـــة عن سرورها بهذا الاستقبال ، ثم راحت تقلب نظرها بين الدكتور ريناخ ومارتن ديل فى رصانة وهدوء .. فقال المحامى :

ـ هذا يا آنسة هيوز عمك الدكتور ريناخ .. اما هـــذا السيد فليس من اقربائك ، بل هو مستر ديل ، احد زملائى :

فقالت الفتاة فى صوت متهدج وقد تلفتت الى الطبيب :

ـ آه .. عمى هربرت .. شد ما كنت اشـــعر بالوحدة فى حيـــاتى الماضية .. فقد كنتم فى نظرى اعنى انت

يا عمي وعمتي سارة والباقين ، كأفراد القصص والاساطير ! .
اما الآن ..

واحتبس صوتها وهي تطوق الرجل البدين بساعديها وتقبل خديه المتهدلين

واردفت الفتاة قائلة

ـ لكن لابد أن تقص على كل شيء ! .. كيف حال ابى ؟ .. وان كان هذا السؤال عجيبا فى الواقع .

فبادرها المحامى قائلا :

ـ الا ترين يا آنسة هيوز ان ننتهى اولا من الاجراءات الجمركية ! .. ان الوقت متأخر وامامنا رحلة طويلة فى (لونج ايلاند) .

فقالت الفتاة باسمة :

ـ انى تحت تصرفك يا مستر نورن .. والواقع ان رسالتك الى كانت آية فى الرقة والطيبة

واستقلوا اخيرا سيارة الدكتور ريناخ التى تولى الطبيب قيادتها بنفسه .. وجلس مارتن ديل الى جانب الطبيب وقد ارهف سمعه لما يدور من حديث خلفه دون ان يلقى بالا الى الطريق الذى اخذت السيارة تسلكه .

وتنحنح المحامى آخر الامر وقال يخاطب الفتاة الجالسة الى جانبه فى لهجة من يوشك ان يلقى شيئا بالغ الخطورة

ـ ان لدينا نبأ محزنا لك يا آنسة هيوز .. ومن الخير ان تقفى عليه الآن

فتمتمت الفتاة بعد هنيهة :

محزن ؟ محزن ! .. آه .. لعله ليس ...

فقال نورن فى صوت خافت :

ـ هو والدك .. انه توفى .

فهتفت الفتاة مروعة مشدوهة ، ثم اخلدت الى السكينة مغلوبة على أمرها ..

وقال نورن بعد صمت يسير :

ـ يؤسفنى اشد الاسف ان أستقبلك بمثل هذا النبأ .. وهو لا ريب شديد الوقع فى نفسك لكن قد يخفف منه انك لم تجتمعى به قط منذ عهد الطفولة .. وكأنك لم تعرفيه .

فقالت اليس فى صوت مختنق :

ـ هى صدمة طبعا .. ومع ذلك فقد كان غريبا لدى كما قلت .. والواقع انى كنت طفلة صغيرة حين طلقت والدتى منه ، وذهبت بى الى انجلترا كما حدثتك فى رسالتى اليك .. ولست اتذكر والدى قط ، ثم لم اسمع عنه شيئا منذ ذلك العهد ، ولم اره

فأمن المحامى على كلامها ، فاستطردت :

ـ وقد كان ممكن ان اقف على مزيد من البيانات عن ابى لو لم تمت امى وانا بعد فى السادسة من عمرى .. وقد تركتنى فى كفالة خالى الذى توفى فى العام الماضى ، وهكذا اصبحت وحيدة فى هذا العالم .. حتى اذا جاءتنى رسالتك يا مستر نورن زالت وحشتى وساورتنى الغبطة والفرح واحسست انى لم اعد وحيدة فى الدنيا ...

اما الآن .. وكفت عن استرسالها وشرعت تحدق من خلال نافذة السيارة .

فما سمع الدكتور ريناخ هذا الكلام حتى ادار رأسه الضخم وقال وهو يبتسم فى حنو ورقة : وهناك زوجتى مثلى .. بل هناك ايضا شاب يدعى كيث يتولى خدمتنا ، وهو يتوقد الذكاء كثير النشاط ..

واردف الطبيب ضاحكا :

ـ وكذلك ترين يا اليس انك ستكونين فى جمع من الرفاق والاصحاب

فتمتمت الفتاة قائلة :

ـ شكرا لك يا عمي هربرت .. انا واثقة من كرمك وطيبتك .. كيف توفى ابي يا مستر تورن . انك اخبرتنى فى رسالتك بمرضه ، لكن ..

ـ انه اصيب بغيبوبة مفاجئة منذ تسعة ايام .. وكنت اذ ذاك لم تبرحى انجلترا بعد ، وقد ابرقت اليك فى الحانوت الذى كنت تعملين به ، لكن البرقية لسبب ما لم تصل اليك .

ـ ومتى توفى ؟

ـ منذ اسبوع .. يوم الخميس .. ولم نستطع تأجيل الدفن انتظارا لحضورك .. والحقيقة انه كان بامكانى ان ابرق اليك على ظهر الباخرة ، لكنى لم ارد ان افسد عليك رحلتك ..

فقالت الفتاة وقد اشتد تهدج صوتها :

ـ لست ادرى كيف اعبر لك عن امتنانى لما تعبت من اجلى .. وانه لما يعزى الانسان ان يجد ..

فقال الدكتور رشاخ : ان الخطب فادح لنا جميعا .

فقالت اليس : لا ريب فى ذلك يا عماه .. انى اشاطرك شعورك ..

واخلدت الى الصمت حينا .. حتى اذا تكلمت اخيرا راحت تقول :

ـ حينما توفى خالى لم ادر كيف يتيسر لى الاتصال بوالدى .. ولم اعرف احدا فى امريكا الجأ اليه سواك يا مستر تورن ، بعد ان زودنى بعض اهل الخير بعنوانك .. وعند ذلك بدا لى انك كمحام ، تستطيع الجمع بينى وبين ابى .. وكذلك كتبت اليك فى اسهاب كما تعرف

وبعثت اليه بالصور الفوتوغرافيه وغيرها من الوثائق اللازمة .

فقال تورن فى لهجة ادنى الى الفاتر :

ـ وقد فعلنا طبعا كل ما فى وسعنا .. ولما تيسر لى الاهتداء الى والدك ذهبت اليه لاول مرة واطلعته على رسائلك وعلى صورك ، رايت منه لهفة بالغة وحاجة ماسة الى لقائك ..والظاهر انه كان يعانى فى الاعوام الاخيرة متاعب نفسية وعقلية غير يسيرة .. وكذلك كتبت اليك بناء على طلبه ... وفى خلال زيارتى الثانية له ، اى حين رايته لآخر مرة على قيد الحياة ؛ اثيرت مسألة ممتلكاته ..

فقالت اليس فى اعياء : ارجوك يا مستر تورن ان ترجىء الآن الكلام فى هذا الموضوع فانى لا استريح الى الخوض فيه فى مثل هذا الظرف الحالى .

وفى خلال ذلك كانت السيارة تنهب الارض نهبا فى الطريق المقفر المهجور وكأنما تولى الادبار فرارا من وطأة الطقس .. فقد تلبدت السماء بغيوم متكاثفة ، واكفهر وجه الافق ، ونفذ البرد الى داخل السيارة يخز الاجسام وخزا .

وبدت الطريق وكأنها لا نهاية لها .. وكانت تمتد متشابهة وهى تماثل حالة الطقس تجهما وعبوسا ..

وانحرفت السيارة عن الطريق العام الى طريق فرعى شديد الصلابة تحف به الاشجار اليابسة على الجانبين وقد تجردت من تجردت من عالم الحياة والنماء حتى لكأنما لفحتها النيران غير مرة .. وكان المشهد فى جملته ادنى الى الوحشة والخراب ..

ولم تتمالك اليس ان قالت وهى ترى ما رات :

ـ ان هذا المشهد لا يجتذب النفوس !

ولعلها كانت تفكر وهى تقول هذه العبارة فى اطوار ذلك الوالد الغريب الذى اقام فى هذه الارض الموحشة

المعفرة ، وفى انها المنكودة التى ورثت منها منذ عهد بعيد ! .

وقال الدكتور ريشاخ ردا على كلامها ؟

ـ ان هذه الارض كانت مزدهرة فيما مضي ، وانا اذكره من ايام الطفولة ، وكان يمكن ان تصبح مناط العمران والاستقرار ، لولا ان عوامل التقدم والتعمير قد جاوزته وتخطتها ، كما تكلفت الحرائق التى شبت اكثر من مرة بالباقى .

فتمتمت قائلة :

ـ هذا شيء مروع بشع ! .

فقال الطبيب :

ـ واى شيء فى الحياة يا عزيزتى اليس خلا من معالم البشاعة والقبح ؟ .. بل ان الحياة ذاتها هى شيء كريه فاسد ، ولا تستحق ان تعاش .. لكن اذا لم يكن بد من الحياة ، فلنقبلها على علاتها ، وعلى فسادها ، وعلى بشاعتها

فقال المحامى فى تبرم : ان لك فلسفة خاصة يا دكتور .

ـ اننى رجل صريح صادق ..

فلم يتمالك مارتن ديل ان بادره قائلا :

ـ اتدرى يا دكتور انى بدأت امِلك واتضايق منك ؟ ..

فتطلع اليه الطبيب ، وقال يخاطب المحامى :

ـ وهل تقر يا مستر تورن رأى صديقك الغامض ؟

فاجاب المحامى فى غير لين :

ـ ان الواقع يصور نفسه بابلغ مما تفصح عنه الكلمات فلا حاجة بنا الى توكيد قبحه .. فمثلا انى لم احلق ذقنى منذ ستة ايام .. واليوم فقط غادرت منزل ، سلفستر هيوز بعد دفنه ..

فهتفت اليس قائلة :

ـ فدتك نفسى يا مستر تورن .. ما السبب ؟ ..

فغمغم المحامى قائلا :

ـ ستعرفين هذا فى وقته يا آنسة .. فالامور مرهونة باوقاتها ..

فتبسم الطبيب قائلا :

ـ انك لتظلمنا جميعا يا مستر توران اذ تقدم لابنة اخى صورة لاسرتها بعيدة كل البعد عن الحقيقة وصحيح ان فينا بعض الغرابة والشذوذ .. لكننا اسرة عريقة اصيلة .. كما تشهد بذلك صورة اليس الحسناء المليحة ..

لم تعقب اليس بكلام .. فقد بدا هذا العم الذى لم تره قبل اليوم لغزا غامضا فى نظرها .. ولعل باقى افراد الاسرة لا يختلفون عنه فى هذا المقام

والحق ان الاسرة كلها مصابة بلوثة غريبة .. فقد كان الاب مخبولا مسلوب العقل والرشاد واكبر الظن ان اخته « سارة » هى الان صورة مماثلة منه ، وآية شاخصة باقية .. اما زوجة العم المتعثرة « ميلل » ، فما على « اليس » الا ان تلقى نظرة على الطبيب لكى توقن ان العرق دساس وان الاناء ينضح بما فيه !

* * *

واما « مارتن ديل » فقد توجس من هذه المغامرة المجهولة الغامضة ، واحس كان بها جبارة عاتية تمهد لماساة عنيفة قاهرة .. وزاده توجسا ونفورا ان راى معالم العمران تنمحى وتتلاشى من طريق السيارة ، فقد اختفت اعمدة التليفون واسلاك البرق ، ومعنى هذا انهم يستضيئون بالشموع ، ولم يكن اشد من الشموع عنده كرها .

ذلك وبما فتئت السيارة تمضي فى طريقها المقفر الموحش المليء بالحفر والاخاديد ، تحت سماء متجهمة كالحة انحدرت

شمسها الى الافق الغربى باهتة كثيفة ، وفى برودة لاذعة قارسة تنفذ حتى العظام .

وشد ما تنفس مارتن ديل الصعداء حين القى الطبيب ينعطف بالسيارة اخر الامر يسرة فى طريق فرعى ويقول لهم ها قد وصلنا اخيرا ! .. لقد حللت فى دارك باليس اهلا وسهلا ! .

ولم يتمالك « مارتن ديل » حين آنس لهجة السخر والتهكم التى لابست كلمات الطبيب ان تطلع اليه مستخبرا بيد ان ملامح وجهه ظلت على حالها من الرقة والعذوبة والدماثة ..

واوقف الطبيب السيارة بين منزلين متواجهين قائمين على جانبى طريق السيارات المفضى الى « جراج » عتيق ، لمح مارتن ديل فى داخله سيارة « تورن » الانيقة اللامعة .. وكانت المبانى الثلاثة وحولها الغابات المتشابكة كأنها جزائر مقفرة منعزلة فى بحر لجى متلاطم .

وقال الدكتور ريناخ فى حرارة :

– ان المبنى القائم الى اليسار يا اليس هو قصر العائلة التاريخى .

وكان هذا البيت المؤلف من ثلاث طبقات مغبر مربدا بفعل عناصر الطبيعة وبتأثير حرائق الغابات حتى لقد كان فى شكله اقرب الى السواد .

وتطلع مارتن ديل الى الفتاة ، فرآها شاخصة الى البيت منعقدة اللسان ارتياعا وذهولا ، حتى لم يتمالك ان راح يلعن فى سره المحامى ان جاء بالفتاة الى هذه البقعة واستهدفها لهذه المحنة القاسية .

وقال الدكتور ريناخ فى خفة ومرح :

ان سلفستر سماه « البيت الاسود » .. وهو ليس

بالجميل الصورة كما ترون ، ولكنه عريق فى القدم ، اذ انشىء منذ ثلاثة ارباع قرن من الزمان ..

وغمغم تورن متبرما :

– « البيت الاسود » ؟ .. تسمية سخيفة ..

وقالت اليس همسا :

– اتقرر ان ابى .. وامى .. عاشا فى هذا البيت ؟

– نعم يا عزيزتى .. وقد بناه جدك .. على انه ابتنى فيما بعد هذا البيت الاخر .. وستجدينه اقرب الى الانس وادعى الى طيب الاقامة .. اين ذهب هؤلاء الناس بحق الشيطان ؟ !

وهبط الطبيب من السيارة متثاقلا وفتح الباب لابنة اخيه .. وانحدر مارتن ديل من الناحية الاخرى وراح يتطلع حوله مشرئبا كما يفعل الحيوان البرىء ، فراى البيت الثانى مؤلفا من طبقتين وقد شيد بحجارة بيضاء حال لونها بفعل الطبيعه والزمن .. وكان الباب الامامى مقفلا والستائر مسدولة فوق النوافذ ، ينبعث من خلالها ضوء نار مشبوبة وعلى حين غرة لمح وجه امراة ملتصقا بزجاج احدى النوافذ وسرعان ما اختفى .. بيد ان الباب ظل مغلقا ..

ويمم مارتن ديل شطر زملائه فى الناحية الاخرى من السيارة ، فالفى اليس واقفة قرب تورن ، وكانما تلتمس الحماية فى جواره ، وسمع الطبيب يقول لها فى مودة :

– انك ستقيمين معنا طبعا ، ولسن تفضلى البقاء وحدك فى « البيت الاسود » فهو خلو من كل انسان ، وهو مثال الاضطراب والفوضى .. بل هو بيت الموت كما تعلمين .

فقال له المحامى مزمجرا :

– كف عن الكلام ! .. الا ترى البنية المسكينة تكاد تموت

رعبا ورهبة ؟ .. ام تحاول ان تثير انزعاجها لابعادها عن هنا.
فقالت اليس مذهولة : لابعادى ..
فقال الطبيب باسما :
- الظاهر ان الاساليب المسرحية فى الكلام لا تروقك يا تورن .. الواقع يا اليس انى رجل خشن على الفطرة ، لكن حسن النية سليم القصد .. وستجدين اسباب الراحة مهيأة فى « البيت الابيض » .
واردف ضاحكا :
- نعم « البيت الابيض » ! . فهكذا سميته لحفظ التوازن بين البيتين ! .
وقالت اليس فى قلق دفين :
- ان كل شيء حافل بالغموض والابهام .. فما هو مستر تورن ؟ .. ثم لماذا لبثت ستة ايام فى بيت ابى حتى دفنه ؟ . احسب ان من حقى ان اعرف التفسير اللازم ..
تعلق تورن شفتيه وهم بالكلام ، لولا ان سبقه الطبيب قائلا :
- هلمى بنا يا عزيزتى . والا جمدنا بردا ..
فقالت اليس وهى تضم اطراف معطفها الرقيق :
- احب باعماه ان ارى داخل البيت .. حيث عاش ابى وامى ..
فسارع تورن قائلا :
- ليس هذا من رايى يا انسة ..
فقال الدكتور ريناغ فى رقة :
- ولم لا .. من الخير ان نفرغ نهائيا من هذه المهمة .. وما زال ضوء النهار يسمح بالرؤية .. فاذا تم ذلك عدنا ادراجنا واغتسلنا وتناولنا الطعام الشهى الساخن وشعرنا

وشعرنا بلذة الوجود حقا .. اظن ان المفتاح معك يا مستر تورن ..
ووقفت الفتاة تنتظر هادئة ساكنة وهى تحدج بعينيها السوداوين رفاقها الثلاثة .. فاذا المحامى شاحب الوجه مطبق الفم قد زم شفتيه عن كل تعقيب ... وما لبث ان اخرج من جيبه مجموعة من المفاتيح الكبيرة الصدئة واولج احدها فى باب « البيت الاسود » فدار فى صليل وصرير
فدفع تورن الباب ، ونفذ الجميع الى الداخل ..
كان البيت كالقبر .. تفوح فى ارجائه روائح كريهة فاسدة مرطبة ..
وكان اثاثه نفيسا فيما مضى ، اما الان فقد علاه القدم والبلى ..
وبدت الجدران متآكلة الطلاء كأنها وجه موقع كالح
وانتشرت الاقذار والفضلات فى كل مكان ، حتى ليستبعد الناظر ان يعيش فى هذا الجحر القذر آدمى له صفة الاناسى .
وتولى الدكتور ريناغ قيادة الفتاة فى ارجاء البيت ، فجعلت تسير معه طيعة متعثرة وقد تجلى فى نظراتها الرعب والذهول ..
ولم يقدر مارتن دايل كم لبثوا على وجه التحقيق فى هذا الطواف الكريه .. فما من ريب فى انها كانت مهمة شاقة كريهة حتى لمن هو مثله غريب عن المكان لا يمت له بسبب .. وجعلوا يتنقلون هنا وهناك صامتين مأخوذين وكأنما تسوقهم قوة خفية غلابة .
وقالت اليس فى صوت مختنق محتبس
- الم يتكفل احد باعماه بالعناية بابى ؟ .. الم يتطوع انسان مرة بتنظيف هذا المكان المرتاع ؟
فأجاب الطبيب وهو يهز كتفيه :

ـ ان . اباك كان غريب الاطوار فى شيخوخته يا عزيزتى ولم يكن بوسع احد ان يفعل حياله شيئا .. وربما كان من الخير الا نخوض فى هذا الموضوع ..

ومضوا فى طوافهم تملأ انوفهم الروائح الكريهة الفاسدة . وسار تورن فى الزحم وهو يراقب الطبيب عن كثب حتى ليحصى عليه حركاته وسكناته .

واشرفوا فى الطبقة الثانية من « البيت الاسود » على غرفة النوم التى لفظ فيها سلفستر هيوز انفاسه الاخيرة .. فاذا الفراش مشوش مضطرب والاغطية مبعثرة واثر جثمان الرجل ظاهر للعيان ..

ولم تتمالك اليس وقد شاهدت هذه الغرفة الحقيرة ان راحت تسعل قهرا وطفقت تتفرس فى الفراش القذر الذى ولدت فيه .

وفجاة هرعت الى دولاب صغير رأت فوقه صورة كبيرة فى اطار مستندة الى الجدار المصفر ووقفت برهة تطيل النظر اليها دون ان تمسها .. وما لبثت ان تناولتها وقالت فى تؤدة :

ـ هذه صورة امى .. وانا الآن مسرورة بمجيئى الى هنا .. فقد كان ابى يحبها اذن وقد ابقى صورتها طيلة هاته الاعوام

فتمتم تورن قائلا :

ـ نعم يا آنسة .. وقد بدا لى انك ولابد مستحوذة على الصورة .

فقالت اليس : انى لم اكن امتلك سوى صورة متواضعة لابى .. اما هذه الصورة فجميلة .

ورفعت الصورة بين يديها فخورة ضاحكة فى غمرة هذا الانفعال الشديد الذى انتابها ، فقال الدكتور رتناخ متنهدا :

ـ ان والدك طالما جعل يتحدث فى اخريات ايامه عن والدتك ، وعن حسنها ..

فقالت اليس وقد تملكتها رعدة يسيرة :

ـ لو لم يترك ابى غير هذه الصورة ، لكفى بها ثمرة طيبة لرحلتى من انجلترا .

ثم اسرعت الى جانبهم وهى تقول فى صوت اجش :

ـ لنخرج من هنا .. انا لا استريح الى هذا المكان .. انه بشع وروع ! .. انى .. خائفة !

وغادروا البيت سراعا فى خطى متلاحقة وكانما يطاردهم مطارد خفى .. واوصد تورن الباب الخارجى بالمفتاح فى عناية بالغة وهو يحدق فى اثر الطبيب .. بيد ان الدكتور رتناخ تأبط ذراع الفتاة واتجه بها الى « البيت الابيض » الذى فتح الآن بابه واضيئت نوافذه

❋ ❋ ❋

وقال مارتن ديل يخاطب تورن فى حدة وهما يسيران فى اثر الطبيب والفتاة :

ـ تورن .. هلا زودتنى بدليل .. باشارتها ! .. اننى فى ظلام دامس ..

فتمتم تورن وقد بدا وجهه المرسل اللحية كالحاه فى فى ضوء الشمس الغاربة :

ـ لا يمكننى الكلام الآن . لك ان تشتبه فى كل انسان .. وفى كل شىء ! .. سأراك الليلة فى غرفتك .. مارتن انا شدك الله ان تكون على حذر !

فقال مارتن ديل عابسا : على حذر ؟؟

ـ انحذر وكأن حياتك فى اشد خطر .. بل هى فى خطر اى خطر ! .

وبلغا عتبة البيت الابيض .. فدلفا الى الداخل ..

الفصل الثالث

وقف مارتن ديل في غرفة جلوس رحبة متقادمة الاثاث تضطرم في مدفاتها نار مشبوبة اجرت الدماء في عروقهم حارة بعد هذا القر الشديد الذي ثقلت وطأته عليهم .

وعن كثب منه راحت مدام ريناخ ترحب بالفتاة الوافدة مقبلة معانقة .. وقد تفرس فيها مارتن ديل فرآها نحيلة شاحبة تلوح على محياها الجاف امارات خوف دفين .. وقالت الفتاة وقد تخلت عنها :

– لابد الان تكوني متعبة منهوكة يا عزيزتي .. ثم اني اقدر شعورك ايضا .. فنحن شبه غرباء في نظرك ! .

واذ وقع نظرها على الصورة التي حملتها الفتاة اردفت مستطردة :

– آه .. اراك قد زرت البيت الثاني حال قدومك ..

فرد عليها الطبيب وقد زاد شحوب لونها :

– طبعا زارته .. والان يااليس ، ارى من الخير ان تصعدي مع زميلي ، لكي تعمل على راحتك .

فقالت الفتاة : الواقع اني اكاد اموت اعياء

ثم تطلعت حولها ، وما لبثت ان تقدمت الى المدفأة ووضعت الصورة التي بين يديها فوقها قائلة :

– هكذا .. هذا خير مكان لها ..

وقال الدكتور ريناخ : ارفعوا الكلفة يا سادة وخلوا عنكم هذا التحفظ .. ديك .. تحرك ولا تقف هكذا جامدا .. ان حقائب الانسة عيوز ما زالت في السيارة ..

لقد وقف عن كثب منهم شاب عملاق راح يتفرس في اليس مستغرقا .. حتى اذا سمع كلام الطبيب اومأ برأسه متبرما وخرج .. فقهقهت اليس وقد تورد محياها :

– من هذا ؟ ..

فاجاب الدكتور ريناخ وهو يخلع معطفه ويتقدم الى النار مصطليا :

– هو ديك كيت ، تابعي الساخط المتبرم .. وسوف تجدينه يا عزيزتي لطيف العشرة الاذا استطعت ان تنفذي الى ما وراء اهابه الغليظ .. وهو يتولى شئون الخدمة في البيت كما ذكرت آنفا ، لكي لا تدعي هذا الاعتبار يقف حائلا بينك وبينه ، فانا في بلد ديمقراطي ..

– انه شاب لا غبار عليه .. والان استاذنكم جميعا ..

وفي هذه اللحظة عاد كيت تحت حمل من الحقائب وصعد السلم المتفرع من الغرفة ، فتبعته مدام ريناخ واليس واختفى الثلاثة عن العيان ..

ويمم الطبيب شطر دولاب اخرج منه زجاجة من الشراب فصب لنفسه كاسا اترعها في جوفه قائلا :

هذه خير وسيلة للتدفئة .. ما رايكم ايها السادة في كاس مثلها ، ثم اذهب بكم بعد ذلك الى غرفكم ؟ .

فهز مارتن ديل رأسه قائلا :

– شكرا لك .. اني وزميلي نفضل ان نغتسل حتى نسترد نشاطنا .

فقال الطبيب ضاحكا :

– ان لكم ما تريدون . وان كنت ارجوا الا تطمعوا عندي في وسائل المدنية والتحضير .. فان بيتي خلو من الكهرباء والتليفون والمياه الجارية .. وانما نستمد حاجتنا من الماء من بئر خلف الدار .. فهي حياة على الفطرة كما ترون .. ولكنها عندي خير من مظاهر الحضارة الحديثة الوفاء .. والان هلموا بنا ..

وصعد بهما الطبيب الى جو لاذع البرودة حاملا شموعا وثقابا ، فادخل ثورن غرفة تطل على مدخل البيت ، وذهب بصاحبه الى غرفة اخرى جانبية راى فيها مارتن ديل بدفاة كبيرة تتلظى فيها نار حامية ، وعن كثب منها مغسل عتيق فوقه ماء بارد ، فوقف الطبيب لدى الباب قائلا :

– ارجو ان تجد هنا راحتك الكافية .

واذا لم ينصرف الطبيب بعد ان اغتسل مارتن ديل ، لم يعبأ هذا به ، بل فتح حقيبته ليخرج ملابسه ، فانكشف المسدس الذى جاء به ، فغمغم الدكتور ريناخ :

– اعتاد انت ان تحمل سلاحك دائما يا مستر ديل ؟

فاجاب مارتن ديل وهو يدس المسدس فى جيب بنطلونه : دائما .

فقال الطبيب وهو يعبث بذقنه : بديع !.. بديع !.. استأذنك الان للاطمئنان على راحة ثورن .. واصارحك انه رجل عنيد صلب الراى .. فلولا عناده وصلابته لاقام معنا هادئا مستريحا فى الاسبوع الماضى . ولم يحبس نفسه عنادا واصرارا فى البيت القذر المجاور لنا ! .

فغمغم مارتن ديل قائلا : ترى لم فعل هذا ؟ !

فحدجه الطبيب بنظراته ، ثم قال له :

– ارجو ان تنضم الينا تحت متى فرغت .. ان مدام ريناخ قد اعدت عشاء شهيا سيعجبك ان كنت جائعا مثلى ! ..

واختفى الطبيب عن عينيه باسما .. ووقف مارتن ديل برهة ينصت ، فسمعه يتخلف قليلا فى نهاية الردهة ، حتى اذا شعر من خطواته الثقيلة انه يهبط السلم

الى غرفة الجلوس بادر مسرعا الى باب الغرفة على اطراف اصابعه لكى يتحقق من هذه الظاهرة التى لمحها لدى دخوله .

وقد صحت نظرته حقا .. فقد الفى القفل منزوعا من مكانه ، وكانت آثار نزعة حديثة العهد . فلم يتمالك ان عبس قليلا . على انه وضع مقعدا عتيقا خلف الباب ، وانثنى يفتش الغرفة .

فرفع الحشايا (المراتب) من فوق السرير الخشبى وفتش تحتها باحثا مستطلعا .. وان لم يدر عم يبحث .. وعنى بفتح الادراج جميعا .. كما رفع السجادة العتيقة بحثا عن اسلاك تحتها ..

حتى اذا لم لم يفز من تفتيشه هذا بطائل يمم شطر النافذة مغضبا ، فاذا الغابات الجرداء والسماء الملبدة المكفهرة تاخذ بصره حيثما نظر .. اما (البيت الاسود) فلم يبد لعينيه اذ كان قائما ، فى الناحية الاخرى .

وراى الشمس المتقبة خلف السحاب تنحدر الى مغربها .. وانفرجت السحب برهة عن قرصها فسطعت اشعتها فى عينيه حتى زاغ بصره او كاد .. وما عتمت الغيوم المثقلة بالثلج ان حجبتها على الاثر ، ثم اختفت تحت الافق ، وباتت الغرفة فى ظلام متزايد ..

وجعل مارتن ديل يفكر فى هذا القفل المنزوع .. فبدا له ان يدا عالجته فى براعة وسرعة ، وقدر ان شخصا راه من النافذة لدى وصوله وفعل ما فعل .. وذهب يسائل نفسه : ترى افعلوا هذا ايضا بغرفة ثورن ، وغرفة اليس ؟

وهبط مارتن ديل الى غرفة الجلوس ، فوجد ثورن والدكتور ريناخ قد سبقاه اليها وانهمكا فى الحديث

وصعد بهما الطبيب الى بهو لاذع البرودة حاملا شموعا وثقابا ، فادخل تورن غرفة تطل على مدخل البيت ، وذهب بصاحبه الى غرفة اخرى جانبية راى فيها مارتن ديل بدفأة كبيرة تتلظى فيها نار حامية ، وعن كثب منها مغسل عتيق فوقه ماء بارد ، توقف الطبيب لدى الباب قائلا :

— ارجو ان تجد هنا راحتك الكافية .

واذا لم ينصرف الطبيب بعد ان اغتسل مارتن ديل ، لم يعبأ هذا به ، بل فتح حقيبته ليخرج ملابسه ؛ فانكشف المسدس الذى جاء به ، فغمغم الدكتور ريشاخ :

— امعتاد انت ان تحمل سلاحك دائما يا مستر ديل ؟

فأجاب مارتن ديل وهو يدس المسدس فى جيب بنطلونه : دائما . .

فقال الطبيب وهو يعبث بذقنه : بديع ! .. بديع ! .. استأذنك الان للاطمئنان على راحة تورن .. واصارحك انه رجل عنيد صلب الراى .. فلولا عناده وصلابته لاقام معنا هادئا مستريحا فى الاسبوع الماضى ، ولم يحبس نفسه عنادا واصرارا فى البيت القذر المجاور لنا ! .

فغمغم مارتن ديل قائلا : ترى لم فعل هذا ؟ !

فحدجه الطبيب بنظراته ، ثم قال له :

— ارجو ان تنضم الينا تحت متى فرغت .. ان مدام ريشاخ قد اعدت عشاء شهيا سيعجبك ان كنت جائعا مثلى ! ..

واختفى الطبيب عن عينيه باسما .. ووقف مارتن ديل برهة ينصت ؛ فسمعه يتخلف قليلا فى نهاية الردهة ، حتى اذا شعر من خطواته الثقيلة انه يهبط السلم

الى غرفة الجلوس بادر مسرعا الى باب الغرفة على اطراف اصابعه لكى يتحقق من هذه الظاهرة التى لمحها لدى دخوله .

وقد صحت نظراته حقا .. فقد الفى القفل منتزعا من مكانه ، وكانت آثار نزعه حديثة العهد . فلم يتمالك ان عبس قليلا ، على انه وضع مقعدا عتيقا خلف الباب ، وانشأ يفتش الغرفة .

فرفع الحشايا (المراتب) من فوق السرير الخشبى وفتش تحتها باحثا مستطلعا .. وان لم يدر عم يبحث .. وعنى بفتح الادراج جميعا .. كما رفع السجادة العتيقة بحثا عن اسلاك تحتها ..

حتى اذا لم لم يفز من تفتيشه هذا بطائل يمم شطر النافذة مغضبا ؛ فاذا الغابات الجرداء والسماء الملبدة المكفهرة تأخذ بصره حينما نظر .. اما (البيت الاسود) فلم يبد لعينيه اذ كان قائما ، فى الناحية الاخرى .

ورأى الشمس المتقبة خلف السحاب تنحدر الى مغربها .. وانفرجت السحب برهة عن قرصها فسطعت اشعتها فى عينيه حتى زاغ بصره او كاد .. وما عتمت الغيوم المثقلة بالثلج ان حجبتها على الاثر ، ثم اختفت تحت الافق ، وباتت الغرفة فى ظلام متزايد ..

وجعل مارتن ديل يفكر فى هذا القفل المنزوع .. فبدا له ان يدا عالجته فى براعة وسرعة ؛ وقدر ان شخصا راه من النافذة لدى وصوله وفعل ما فعل .. وذهب سائل نفسه : ترى افعلوا هذا ايضا بغرفة تورن ، وغرفة اليس ؟

وهبط مارتن ديل الى غرفة الجلوس ، فوجد تورن والدكتور ريشاخ قد سبقاه اليها وانهمكا فى الحديث

وقال الدكتور حين رآه :

ـ تعال يا مارتن وانضم الينا .. سنتناول الطعام حالما تنزل اليس .

وقال له لورن : ان الدكتور ريشاخ كان يحدثني الآن عن « ساره » عمة اليس فالظاهر ان حضور ابنة اخيها قد اثار شديد انفعالها .

فقال مارتن ديل وهو يجلس قرب المدفأة : احقا ؟ .

فقال الطبيب : الحقيقة ان اختي المسكينة مختلة العقل ، طبقا لموراثه العائلية .. على ان جنونها غير عنيف .. وان كان من الحكمة ان يداريها الانسان ويلاطفها .. ولا ريب انها مفاجأة اخرى لاليس ان تراها وهي في هذه الحال غير الطبيعية .

فقال مارتن ديل : انها لاسرة منكودة بهذا الجنون الوراثي .. وقد بدا جنون اخيك سلفستر في الوحدة والعيشة القذرة .. فما هي لوثة اختك من ابيك هذه ؟ ..

ـ ان سارة تتوهم ان ابنتها ما تزال على قيد الحياة .. مع ان « اوليفار » المنكودة قد قتلت في حادث سيارة منذ ثلاث سنوات .. وقد اثر هذا الحادث في نفس الام تأثيرا شديدا .. ثم انها الآن تنتظر بلهفة ابنة اخيها اليس ، وقد يكون الموقف ـ ربكا محيرا ..

وبعد صمت يسير قال لورن : هلا حدثتنا يا دكتور ريشاخ عن هذا الفتى المدعو كيث ؟

فأجاب الطبيب : لا تفكر في امره يا لورن .. فنحن ندعه وشأنه .. وهو شاب ساخط على الدنيا وعلى المجتمع .. آه .. ها قد جاءت عزيزتنا ! .. ما ابهاك ! .. ما ابهاك ..

وعبطت اليس انضر صورة واجلى طلعة حتى لقد بدت في عيني مارتن ديل مجردة من قبعتها و معطفها و كأنها شخص آخر .. وقالت ردا على حفاوة عمها في صوت متغير قليلا :

ـ شكرا لك يا عماه .. لكن اخشى ان اكون اصبت ببرد شديد .

فقال الطبيب على الفور : عليك بالويسكي وعصير الليمون الساخن .. ثم اقتصدي في طعامك وعجلي بشفائك ! .

ـ اصارحك يا عماه اني اكاد اموت جوعا ..

ـ اذن فكلي ما شئت واضربي بنصيحتي كطبيب عرض الحائط .. اما حان وقت ذهابنا الى المائدة ؟

فأجابت مدام ريشاخ في وجل : نعم .. ولن ننتظر ساره او كيث ..

فلما سمعت اليس هذا التصريح فارقتها بعض بشاشتها .. على انها تنهدت وتأبطت ساعد الطبيب وتقاطر الجميع الى غرفة الطعام .

***

واذ فرغوا من العشاء ونهضوا عن المائدة عائدين الى غرفة الجلوس ، عالج المحامي ان يتخلف مع اليس وهمس في اذنها قائلا :

ـ لست بخير ؟ .. اكل شيء كما تحب ؟

فأجابت الفتاة في هدوء :

ـ الواقع اني اقرب الى الخوف مني الى شيء آخر .. ولا تحسبني بلهاء يا مستر لورن ، ولكن كل شيء هنا محوط بالغموض والشذوذ .. واني اتمنى الآن لم احضر الى هنا .

فتمتم ثورن قائلا : انى افقد شعورك .. ومع ذلك لم يكن بد من مجيئك .. ولو وجدت سبيلا اخر لوفرت عليك مشقة الحضور .. لكن لا ريب انك ان تختارى الاقامة فى ذلك الجحر البشع المروع المجاور لهذا البيت .. المعروف « بالبيت الاسود » ! .

فقالت الفتاة وهى ترتعد : كلا ! . كلا .

— ثم انه لا يوجد فندق قريب بمسافة اميال .. هل اجترأ احد من هؤلاء الناس على ..

— لا .. لا . وكل ما هنالك انهم غرباء فى نظرى .. واحسب ان الشعور الذى يداخلنى هو من تأثير الوهم والبرد القارس الملموس هنا .. هلا اذنت لى بالذهاب الى الفراش ! . ان غدا لناظره قريب ، ومجال الحديث متسع ممدود ..

فربت ثورن على يدها ، فابتسمت ممتنة شاكرة ، وقبلت وجنة الدكتور ريناخ ثم صعدت الى مخدعها مع زوجة الطبيب .

وما كاد الرجال يستقرون حول المدفأة حيث اخذوا يدخنون حتى سمع وقع اقدام فى الجانب الخلفى للدار . فالتفت الدكتور ريناخ قائلا :

— لابد ان يكون كيث .. ترى اين كان !

وظهر الشاب العملاق فى مدخل الغرفة مبتل الحذاء ، نحيلا فى اقتضاب وليرم كعاداته ، ويضم شطر الموقد يدفىء يديه الكبيرتين المحمرتين .. فسأله الطبيب :

— اين كنت يا كيث ! . اذهب وتناول عشاءك .

— انى تعشيت قبل مجيئكم ..

— وما الذى كان يشغلك ؟ ..

فاجاب الشاب فى نحة ادهش مارتن ديل صدورها من خادم :

— كنت احطب لتهيئة الوقود للمدفأة ، وهو شىء لم تفكر انت فيه ! .. ان الثلوج تتساقط .

— الثلوج ! .

وهرع الجميع الى النوافذ الامامية ، فاذا الثلوج تنهال قطعا كبيرة كانت تبدو جلية رغم الظلام وما لبث الطبيب ان خاطب تابعه قائلا :

— انك لم تتعرف بمستر ديل .. اقدم اليك ديك كيث يا مستر ديل .. هيا يا بنى ودع عنك هذه الكآبة .. فان بلواك هى فرط احساسك وكثرة تفكيرك .. لنشرب جميعا .. ان الكآبة داء سريع العدوى ! .

وانتقل الطبيب الى الدولاب الجانبى ، فاخرج طائفة من القنانى المختلفة وانهمك فى مزج الاشربة وهو لا يكف عن الكلام وقد خامرت صوته رنة انفعال يسيرة لم تخف عن سمع مارتن ديل حتى ذهب يسائل نفسه عن معناها وعما يدور حوله من الغاز ومعميات لا سبيل الى تحديدها بالكلام وان كانت ملموسة بالحس ! ..

واذ اخذ كيث يوزع الكؤوس تبادل مارتن ديل وثورن نظرة معنوية .. كانت نتيجتها ان كليهما تناول كاسين اثنتين وابى ان يزيدهما .. اما كيث فراح يشرب فى الحاح وكانما يحاول ان ينسى شيئا يثقل على نفسه .

وقال الدكتور ريناخ وهو يستقر فى مقعده وثير :

— هذا جميل .. كم تكون الحياة محتملة المدلة ما بعدت منها المراة وتهيا فيها الدفء والشراب .

فقال ثورن : يؤسفنى ان اخيب ظنك يا دكتور وافسد عليك لذتك .

— خيرا ان شـاء الله .. خيرا ان شاء الله !

فاه الطبيب بهذه الجملة وقد نحى عنه زجاجة الويسكي وشبك يديه فوق بطنه ولمعت عينـاه الضيقتان المحمرتان

فنهض تورن من مكانه واتجه الى المدفأة حيث وقف وليا اياهم ظهره ، وراح يقول :

— انني جئت الى هنا يا دكتور ريناخ للدفاع عن صالح الآنسة هيوز وحدها .. وقد توفى أبوها سالفستر هيوز في الاسبوع المـاضي فجأة .. توفي وهو ينتظر الاجتماع بابنته التي لم يرها منذ ان طلق امها ، اى منذ نحو عشرين سـنة ..

فقال الطبيب في صوته الغليظ دون أن يتململ :

— هـذا صحيح ..

فاستدار تورن في مكانه قائلا :

— دكتور ريناخ .. انك كنت طبيب سـلفستر الخاص طيلة العام السابق لوفاته .. فما هو تشخيص حالته ؟

— انه توفى بسبب نزيف في المخ ..

فمال المحامي الى الامام قائلا في تؤده :

— هذا ما قررته في شهادة الوفاة .. لكني غير مقتنع بانك قررت الحقيقـة ! .

فراح الطبيب يحدجه برهة ، وما لبث ان ضرب عـلى فخذه الكبيرة وقـال هادرا :

— بديع ! . عظيم ! . انت رجل خصب الخيـال يا مستر تورن ! ..

ثم التفت الى مارتن ديل مشرق الاسارير واردف قائلا :

— سمعت هذا الكلام يا مستر ديل ! ان صديقك يتهمني صراحة بالقتل .. فما ابدع هذا وما اظرفه .. اقتل ريناخ

اخاه ؟! .. ما رأيك في هذا يا ديك ؟ .. ان صـديقك يتهم بارتكاب جريمة القتـل العمـد ! .

فقال ديك كيث مزمجرا :

— هذا كلام مضحك يا مستر تورن .. وما اظنك تعتقده وتؤمن به انت نفسك .

فقال المحامي : سواء اعتقدت او لم اعتقد فهذا شيء ثانوى .. ولا ينفي الاحتمال الذى اشرت اليه ولا ينقضه .. لكن ما يعنيني في الوقت الحالي هو المحافظة على مصالح اليس هيوز اكثر من عنايتي بمسألة القتل ان صـحت .. ان سلفستر هيوز قد مات ، وسواء لدى أكان موته طبيعيا ام بفعل فاعل .. لكن اليس هيوز ما زالت على قيد الحياة ..

فقال ريناخ في رقة : والنتيجة ؟ ..

فغمغم تورن قائلا : النتيجة ان وفاة الاب في الوقت الذى توفى فيـه امر غامض يبعث عـلى التساؤل ويثير التفكير ..

وخيم صمت طويل الامد راح الطبيب في خلاله يرشف كأسه .. وما لبث ان وضـع الكأس وتنهـد قائلا :

— ان العمر قصير أيهـا السادة ، وهو أثمن من ان نضيعه في مناوشات سطحية .. فلنطرق اذن صميم الموضـوع .. ولنتقدم الى الموقعـة الاساسية بشجاعة .. واني اقـرر لكم ان ديك كيث وتمن عندى ، ولنـا ان نتناقش امامه بحـرية ..

واردف الطبيب باسمـا :

— اني اراك يا مستر ديل تجهل الموقف .. اليس كذلك ؟

فغمغم مارتن ديل دون ان يتحـرك في مكـانه : وكيف نعـلم هـذا ؟

فأجاب ريناخ ولم تذهب ابتسامته :

ـ عجبا لك ؟ . ان تورن لم يبرح « البيت الاسود » منذ دفن سلفستر .. وهو لم يتلق ولم يرسل رسالة ما طيلة حبسه الاختيارى فى الاسبوع الماضى .. وفى صباح اليوم تركنى على رصيف الميناء وتحدث تليفونيا مع مجهول .. وجئت انت بعد فترة قصيرة .. واذ كان غيابه عنى لم يجاوز دقائق معدودة .. فظاهر من هذا انه لم يجد من الوقت الا فسحة للافضاء اليك بمعلومات مفصلة .. ولا يعنى بعد ذلك يا مستر ديل الا أن اهنئك على سلوكك هذا اليوم ، فقد كان مثاليا رائعا .. تعالم ظاهرى يخفى تحته جهلا مطبقا .

فقال مارتن ديل : انت عالم نفسانى .. فوق انك طبيب .

وفجأة قال تورن : ان هذا كله خارج عن نطاق الموضوع .

فقال الطبيب البدين فى كآبة :

ـ بل هو فى صلب الموضوع .. والان اسمح لى يا مستر ديل ان الخص لك الموقف .. فان اخى من ابى ، سلفستر رحمه الله ، كان شحيحا بخيلا .. ولو استطاع ان يحمل معه الى القبر ما كان يمتلك من ذهب وان يطمئن الى بقائه معه ، لفعل .

فقال مارتن ديل فى شىء من الاستغراب : ذهب ؟ ..

ـ لك ان تدهش يا مستر ديل ، لكن هكذا كان طبع اخى .. فلما ان عجز ان يأخذ ذهبه الى القبر معه .. قام بالخطوة التالية المنطقية .. فانه اخفاه ..

فقال مارتن ديل : ان هذا الكلام اقرب الى الشعوذة والدجل .

فقال الدكتور ريناخ مشرقا متهللا :

ـ وقد اخفى ذهبه الخسيس فى « البيت الاسود »

ـ والآنسة « اليس هيوز » ؟

ـ مسكينة .. انها ضحية الظروف .. فان سلفستر لم يفكر فى امرها قط الا مؤخرا حينما كتبت من لندن تقول ان اخر اقرباء امها قد توفى .. كتبت الى صديقنا تورن المحامى الداهية بعد ان ارشدها اليه بعضهم .. ولعلك ترى ان اليس لم تكن حتى تعلم ان والدها على قيد الحياة .. دع عنك مكان وجوده .. وقد استطاع تورن ببراعته ان يهتدى الينا ، وان يقدم الى سلفستر رسائل ابنته وصورها ، وتولى منذ ذلك الحين مهمة ضابط اتصال الطرفين .. وكم كان موفقا فى هذا حقا ..

فقال المحامى فى جفاء :

ـ هذا الشرح لا لزوم له .. فان مستر ديل يعرف

فقال الطبيب باسما :

ـ انه لا يعرف شيئا ، بدليل اصغائه الى قصتى .

والتفت الى مارتن ديل واسترسل فى عذوبته :

ـ واقرر لك يا مستر ديل ان سلفستر تشبث بوجود ابنته على قيد الحياة كما يتشبث الغريق بحبل النجاة .. ولعلى لا اذيع سرا اذا قلت ان اخى قد اصبح فى هوسه وجنونه يرتاب فى اسرته تصور ! ويشك فى ان لها مآرب فاسدة حيال ثروته .

— وهذه وصمة شنيعة طبعا ! .

— ابدعت في وصفك ·· والان ·· فان سلفستر قد اخبر تورن في حضوري انه قد حول ثروته منذ ابد الى ذهب ·· وانه قد اخفى هذا الذهب في مكان ما في « البيت الاسود » ، وانه لن يكاشف احدا بسر المكان الا ابنته اليس الذى قرر ان تكون وريثته الوحيدة .. فهل رايت ؟ .

واجاب مارتن ديل :

— مفهـــوم ··

— على انه توفى لسوء الحظ قبل وصول اليس ·· فهل من عجب يا مستر ديل اذا اساء تورن بنا الظنون وراح يكيل لنا الاتهام ؟

فقال تورن بعنف وقد تورد وجهه :

— هذا تجسيم للواقع ·· انما كان من الطبيعي ، محافظة على مصالح موكلتي الا ابرح المكان واترك الذهب مخبأ في مكان ما دون حراسة ولا رقابة ··

فاومأ الطبيب براسه قائلا :

— طبيعي ···

فغمغم مارتن ديل قائلا :

— الا ترون اننا نجعل من الحبة قبة ، واننا نتطاحن من اجل فاد ؟ .. ان حيازة الذهب هنا انتهاك لقوانين الدولة ·· فبفرض انكم واجدون هذا الذهب ·· الا تصادره الحكومة ؟ ..

فاجاب تورن :

— هذا موقف قضائي معقد يا مارتن .. لكن ليسر لنا

ان نعالجه قبل ان نعثر على الذهب فعلا .. واذن فان جهودي ···

فقال الدكتور ريناخ باسما :

— وانها لجهود موفقة حقا ·· اتدرى يا مستر ديل ان صاحبك كان ينام خلف ابواب موصدة محكمة ، وقد تسلح بالمدى والخناجر ؟ يا له من ظريف ؟ ··

فقال المحامي في اقتضاب :

— انى لا ارى رايك .. واذا اصررت على ان تمضي في هذا التهريج ..

فقال الدكتور ريناخ : ونعود الان الى اتهاماتك يا تورن ·· فهل عرضتها للتحليل ؟ ·· من تتهم يا عزيزي الفاضل ؟ .. عبدك الضعيف ؟ .. اؤكد لك انى رجل روحاني زاهد ، وان المال لا يستهويني في قليل ولا كثير ··

هل تتهم سارة ، اختى بن ابى ؟ ·· انها مخلوقة محطمة تعيش في عالم من الاوهام .. وقد بلغت من الكبر عتيا فلن تعمر طويلا .

فبقى بعد ذلك زوجتى الفاضلة وصديقنا الشاب ديك كيث .

فاما « ميلي » ·· فهى امرأة ساذجة لا تعنى بشيء في الحياة .

واما ديك .. آه ! .. انه دخيل على الاسرة .. وربما بلغنا النقطة الحساسة .. فهل تتهم ديك ، يا تورن ؟

وضحك الطبيب .. فلم يكد يتم ضحكته حتى وقع شيء

خارق في مثل البرق .. فقد نهض كيث من مكانه واهوى على زجاجة الشراب فطوحها مستهدفا راس الطبيب حتى لقد صاح المحامي وتقدم الى الامام خطوة بحركة غريزية .

بيد ان الدكتور ريناخ كان في غنى عن كل دفاع خارجي .. فقد امال راسه الى الخلف كالافعى فلم تصبه الضربة .. وبلغ من عنفها انها افقدت كيث توازنه حتى ترنح في مكانه .. وافلتت الزجاجة من يده فاستقرت في المدفأة حطاما متناثرة وقد سالت بقية الشراب التي بها فكان لها في اللهب ضرام ازرق اللون .

وقال الطبيب غاضبا :

ــ ان هذه الزجاجة عمرها مائة وخمسون سنة ! .. ذلك وقد انتصب كيث في مكانه جامدا موليا اياهم ظهره العريض وهو يلهث ..

والواقع ان هذا المشهد بدا في عيني مارتن ديل اقرب الى المشاهد المسرحية منه الى الحقيقة الماثلة .. وراح يتساءل : أتراهم يتصنعون ؟ .. اتراهم قد اعدوا تمثيل هذا الدور فيما بينهم ؟ .. لكن لاى غرض ؟ .. ما هي غايتهم من تكلف الخصام وافتعال العنف ؟ ..

ونهض مارتن ديل آخر الامر قائلا :

ــ افضل الان ان اذهب الى الفراش قبل ان تسوء العقبى .. واني لشاكر لكم ايها السادة هذه السهرة اللطيفة الممتعة .. آت معى يا تورن ؟

وذهب يرتقى السلم يتبعه المحامي الذى بدا في مثل اعيائه

.. وافترقا في الجو البارد فمضى كلاهما الى غرفته دون ان يفوه بكلمة .. ومن تحت كان السكون مخيما ..

وتذكر مارتن ديل اخيرا وهو يخلع ملابسه ان تورن كان قد همس في اذنه من قبل انه آت لزيارته ليلا لكى يفضى اليه بعناصر هذه القضية الغريبة .. فذهب في سكون الى غرفة تورن .. بيد ان المحامي كان يغط في سبات عميق ..

وكذلك عاد مارتن ديل الى غرفته وهو يجر قدميه من فرط التعب .. فقد صدق الصباح يحمد القوم السرى .... وما ان بلغ سريره حتى استسلم للرقاد .

الفصل الرابع

استيقظ مارتن ديل ، فبدا له على الفور انه في حالة غير طبيعية ، وان لم يستطع تحديد مظاهرها سوى ما شعر به من صداع في راسه وخدر في لسانه .. ونظر الى ساعة يده ، فاذا هي السابعة الا دقائق .. ورفع راسه عن الوسادة في جو الغرفة القارس ، فاذا اشعة الشمس الباهتة تصافح عينيه .. وفيما عدا هذا كله فقد الفى الغرفة على حالها لم يتغير بها شيء بابها مغلقا كما تركه .. فارتد الى مكانه تحت الغطاء .

لكن سرعان ما نفذ الى سمعه صوت غريب .. صوت تورن وهو يصرخ صرخة كأنها الولولة صادرة من خارج البيت .

وان هو الا كلمح البصر حتى وثب مارتن ديل الى النافذة حافى القدمين ، بيد ان تورن لم يكن قائما في ذلك الجانب .. وكذلك انتعل الحذاء واختطف المسدس من

جيب بنطلونه وهرع الى البهو بقصد السلم شاهرا مسدسه فى يده .

وشاهد فى طريقه الدكتور ريناخ يطل براسه من الغرفة المجاورة مستفسرا عما حدث ، فأجاب مارتن ديل وهو مندفع فى طريقه لا يلوى على شيء :

ـ لا اعرف .. سمعت تورن يصرخ ..

وما كان يفتح الباب الامامى حتى وقف فى عتبته فاغر الفم .

فقد شاهد تورن فى ملابسه الكاملة واقفا على قيد امتار قليلة من الدار وهى يحملق فى شيء لم يتبينه مارتن ديل ، وقد ارتسمت على وجه المحامى البلغ آيات الرعب والفزع .

وعن كثب منه جلس ديك كيث القرفصاء وقد تدلى فكه فى بلاهة واتسعت عيناه روعة وذهولا ..

وجاء الدكتور ريناخ فازاح مارتن ديل من طريقه وقال مزمجرا :

ـ ماذا جرى ؟ .. ما حدث ؟ ..

لكن تورن وقف فى مكانه وقد صدر من حلقه صوت اشبه بالحشرجة ، ذلك وقد اكتست الارض والاشجار ثوبا فضيا من جليد ، وامتلأ الجو كله بنتف الثلج المتساقطة ..

واذ راى تورن القادمين يتحركان نحوه بادرهما فى صوت اجش غليظ :

ـ قفا مكانكما ! .. لا تتحركان بحق الرحمن ! .

فشدد مارتن ديل الضغط على مسدسه وحاول ان يزيح الطبيب من طريقه ، بيد ان هذا الرجل البدين وقف دونه كالسد المنيع .. بينما دنا تورن منهما خطوات وهو يصرخ فيهما :

ـ انظرا الى .. هل انا فى حالة طبيعية ؟ .. هل ترياننى جننت ؟ .

فانتهره مارتن ديل قائلا :

ـ املك نفسك يا تورن ! .. ماذا جرى لك ! ؟ . لست ارى بك شيئا غير عادى .

وصاح الدكتور ريناخ فى تابعه :

ـ ديك ! .. هل جننت انت ايضا ؟ .

فحجب الشاب العملاق وجهه فجأة بيديه ، ثم انزلهما ونظر امامه مرة اخرى .. وقال فى صوت مختنق :

ـ لعل الجنون قد مسنا جميعا ! .. هذا اشد ما انظر بعينيك ! .

فانزاح ريناخ فى هذه اللحظة من مكانه ، فسبقه مارتن ديل الى ناحية تورن الذى كان يرتعد .. وانضم اليهما الطبيب على الاثر .. ووقفوا يحدقون ..

وما كانوا والله بحاجة الى التحديق وانعام النظر ، فقد بدا لهم ما بدا واضحا جليا لا لبس فيه ولا خفاء .. ولم يتمالك مارتن ديل ان احس بشعر راسه يقف ، وايقن فى تلك اللحظة ان هذه الظاهرة الخارقة تمشى مع الاحداث

الشاذة الغريبة التى آنسها بالامس فى هذا المكان ! .

وجعل الدكتور ريناخ يلهث وهو واقف فى مكانه يحملق امامه مشدوها وهو يطرف بعينيه .. وفتحت نافذة فى الطبقة الثانية من (البيت الابيض) ، فاذا اليس هيوز تطل من نافذة غرفتها واذا هى تصرخ كما فعل غير واحد منهم قبلها ، ثم اذ بها تلزم السكون ذهولا .

فقد كان (البيت الابيض) الذى خرجوا الان منه قائما ماثلا لا شك فيه ، يلمسونه بأيديهم ويرونه رأى العين ..

اما فيما وراء هذا البيت ، حيث كان (البيت الاسود) قائما ، وهو البيت الذى وطئه مارتن ديل بقدميه بغرب امس — البيت الذى كانت تفوح فيه الروائح الكريهة الفاسدة .. البيت المؤلف من جدران واخشاب ونوافذ ومداخن .. البيت الذى توفى فيه سلفستر هيوز ، والذى اعتصم فيه تورن مسلحا بالمدى والخناجر طيلة اسبوع .. البيت الذى رآه جميعا ولمسوه وطافوا به ..

هذا البيت لم يبق له من اثر !! ..

فلا جدران .. ولا مداخن .. ولا سقوف .. ولا اطلال .. ولا حطام .. ولا شئ !!! .

لا شيء الا الفضاء المنبسط تكسوه الثلوج ..

فقد اختفى (البيت الاسود) فى الليل ! .

الفصل الخامس

وقف مارتن ديل فى الثلوج ينظر ويطيل النظر الى ال[...] الخاوية التى قام عليها بالامس بيت ذو ثلاث طبقات ش[...]

منذ ثلاثة ارباع قرن من الزمان ، وقد اضحى الآن ولا وجود له ! .

وقالت اليس فى صوت ضعيف متخاذل وهى فى مكانها لدى النافذة العليا :

— انه غير موجود .. غير .. موجود ..

وقال تورن وهو يدنو منهم :

— اذن فانا لم افقد صوابى ، ولم يصبنى جنون ! لقد ذهب المنزل ! ؟ ..

فقال مارتن ديل فى صوت خرج غليظا برغمه :

— هذا هو الظاهر ..

وقال الدكتور ريناخ وقد اهتزت اوداجه :

— هذا شيء لا يصدق ! ..

— هذا شيء لا يصدق ! .. بل هو مستحيل ماديا وعلميا ! .

وراح تورن يدير حوله مشدوها قانطا .. وجعل كيث يأس ويصخب ، ثم انشا يركض فى طريق السيارات المغطى بالثلج متجها الى مكان البيت المختفى وقد بسط ذراعيه امامه كالاعمى .. فاستوقفه مارتن ديل قائلا :

مكانك ..

فوقف الشاب العملاق وهو يقول مزمجرا :

— ماذا تريد ؟ .

فدس مارتن ديل المسدس فى جيبه وانضم الى كيث قائلا :

ـ لا ادرى بالضبط .. هنـالك انقلاب كبير ! .. اما ان الكون قد فقد نظـامه .. او اننا قد اصبنا بالجنـون .. اظن ان النظام الشمسي قد انحرف عن مداره فى هذا الكون وذهب للدور على غير هدى فى جواز الفضاء ! لا ريب انى اهذى واخلط فى الكلام ! .

فصـاح كيث قائلا :

ـ انت تعلم خير منى .. اننى لن ادع هذه المسألة الغريبة تنال من عقلى ..

ـ لقد كان هنا بالامس بيت قائم فى هذه الرقعـة ، و كان لانسـان ان يقنعنى بانه غير موجـود فى مكانه .. حتى ولا عينـاى ! .. ان احدهم نومنا مغناطيسيا ! . انك فعلت هـذا يا دكتور ! نومتنـا مغناطيسيا ! ..

فقال الدكتور ريناخ وهو يحملق شطر البقعة الخاوية : ماذا تقـول ؟

فهتف كيث غاضبا : اقرر لكم ان البيت قائم فى مكانه وان كنا لا نراه ..

فتنهد مارتن ديل وجثا على ركبتيه فى الثلج الناصع الرقيق وراح ينبش فيـه باصابعه المقرورة فانكشف الحصى من تحته .. فقـال دون ان يرفع رأسـه :

ـ هذا طريق السيارات .. الا ترون معى ؟

فقال كيث متهيجا : هو طريق السيارات او طريق جهنم .. انك قد جننت مثلنـا ! .. هو طريق السـيارات ما

هذا شك .. الا ترى « الجراج » بعينى رأسك ؟ لم لا يكون طريق السيارات ؟ ..

فأجاب مارتن ديل عابسا وهو ينهض :

ـ لا ادرى .. انى اكاد اتعلم كل شىء من جـديد .. لعله نظام « الجاذبيـة » ! . لعله لا يطول بنـا الوقت حتى نطير نحن ايضـا فى الفضـاء ! .

فقال تورن فى انين : رحماك يا ربى ! .

وقال كيث متبرما ضجرا :

ـ اؤكد لكم انه (خداع النظر) ! ..

وراح الطبيب يقـول : هذا انجب العجب ! . بيت يختفى وكانمـا ذاب ! .

وجعل يضحك ضحكة مختنقـة لا اثر فيهـا للمرح ..

فقال مارتن ديل فى تبرم :

ـ ان البيت قد اختفى ولا ريب فى هذه الحقيقـة .. اما انت يا كيث فمـا اظنك تؤمن بخرافة التنويم المغناطيسى هذه ! . على ان اختفاء البيت لا يحيرنى .. وانمـا تحيرنى كيفية اختفائه .. انها اقرب الى .. الى .. سحقا لهذا !! فانا لم اؤمن فى حياتى قط بالخرافات ..

وهبطت اليس الى باب (البيت الابيض) مرسالة الشعر مشتملة بمعطف فوق رداء نومهـا ومن خلفهـا مدام ريناخ قد لاحت عليهما امارات الذهول ..

فغمغم مارتن ديل مخاطبا تورن :

— اشغلهن بالكلام ولا تدع لهن سبيلا للتفكير حتى لا يزددن اضطرابا .. اننا سنصاب بالجنون حتما اذا لم نتظاهر على الاقل بالعقل !. كيث !. على بمكنسة !.

ومضى مارتن ديل فى طريق السيارات فدار حول البيت المختفى وهو لا يرفع نظره عن البقعة التى كان فيها .. تبعه الدكتور ريناخ بعد تردد .. وانضم تورن الى المراقبين .. اما كيث فقد سار حتى اختفى خلف (البيت الابيض) ..

* * *

احتجبت الشمس خلف السحب الملبدة .. ولم ينقطع تساقط الثلوج دراكا ..

وفتح مارتن ديل باب (الجراج) واطل فى داخله .. فرأى سيارة تورن فى مكانها حيث شاهدها بالامس ، وعن كثب منها سيارة ريناخ التى جاءوا بها من نيويورك بعد ان قادها كيث الى داخل الجراج فيما يظهر ، وكلتا السيارتين فى حالة من الجفاف ظاهرة ..

فاغلق باب (الجراج) وعاد الى طريق السيارات حيث واتاه تورن بالمكنسة قائلا :

— ماذا انت فاعل بها ؟. اتركبها ؟.

فانتهره الطبيب ، فقال لمارتن ديل ضاحكا :

— دعه وشأنه يا دكتور .. فانه يعيننا على التسلية .. هاهما هى ..

وتناول المكنسة وتقدم الى الرقعة البيضاء التى قام عليها البيت المختفى .. فوضع قدميه فوق الجليد

مترددا كانما يتوقع ان تصطدم بالبيت المسحور .. حتى اذا لم يصادف شيئا غير الهواء البارد الاذع ضحك ضحكة يسيرة واخذ يكنس الثلج عن وجه الرقعة طبقة طبقة وهو يفحصها باتم عناية .. فلما انكشف سطح الارض اخيرا دون ان يجد فى طبقات الثلج اى اثر لاقدام بشرية قال لصاحبيه :

— انها لظاهرة شيطانية !. اصارحكم اننى غلبت على امرى ..

وتركهما مارتن ديل متجها الى الطريق العام المختفى تحت الثلج حتى غاب عنهما فى منعطف من الطريق تحجبه الاشجار المكسوة بالجليد .. حتى اذا توسط الطريق الذى كان يمتد فى قوس مستطيل اخذ يعمل المكنسة من جديد لازالة طبقات الثلج عن سطح الارض .. فلم تبد له سوى اثار عجلات السيارة التى جاءت بهما من نيويورك ..

واذ ذاك سمع صوت ديك كيث يقول له :

— عم تبحث .. عن الذهب ؟ ..

فنهض مارتن ديل فى تؤده حتى واجه الشاب العملاق قائلا :

— اذن فقد بدا لك ان تتبعنى .. لكن معذرة .. فانت لم تفعل هذا الا بامر الدكتور ..

فاجاب الشاب دون ان تختلج ملامح وجهه :

— اتبعك !. هذه فكرة جنونية ..

وعاد الزوجان الى البيت ، ومارتن ديل يقول :

ـ سمعتك تتحدث الان عن الذهب .. بديع .. لقد كان ثمة ذهب في ذلك البيت .. اما الان فقد اختفى البيت وتلاشى .. وقد نسيت أمر الذهب في اثناء الهرج الذى اقترن بمسالة اختفاء البيت .. اما الان فانى اشكرك يا مستر كيث ان عدت الى ذاكرتي موضوع الذهب .

الفصل السادس

جلست اليس هيوز منزوية في مقعد قرب المدفأة وهى شديدة امتقاع الوجه ، وراحت تقول :

ـ ماذا حل بنا يا مستر ديل ؟ وماذا نحن فاعلون ؟ .. هل كان ابان حلما من الاحلام .. الم تدخل ذلك البيت وتتفقده وتلمس محتوياته .. انني شديدة الخوف والانزعاج ؟ ..

فقال مارتن ديل باسما : صبرا يا آنسة . . فسنصل الى الحقيقة حتما .. والحقيقة بنت البحث كما يقولون ! .

وجاء كيث لتزويد المدفأة .. وما لبث ان جمع شظايا الزجاج ودس الكتلة الخشبية في الموقدة ..

وصوب الدكتور ريناخ نظرة الى زوجته المنزعجة ، فانسحبت على الاثر ، فقال مخاطبا مارتن ديل :

ـ ما رايك يا مستر ديل ؟ ، ام ترى اللغز عويصا عليك ؟

فضحك مارتن ديل : لا لغز يستعصي على الحل ، اللهم الا لغز الخليقة .. خبرني يا دكتور ، هل من سبيل لطلب المعونة من الخارج ؟ .

ـ لا سبيل الا ان تطير ! .

وقال كيث وهو منهمك لدى الموقدة :

ـ ولا يوجد تليفون .. ثم انك رايت حالة الطريق بعينيك، ويستحيل عليك ان تقود سيارة في زوابع الثلوج ..

وقال الدكتور ريناخ ضاحكا :

ـ لو كانت هناك سيارة حقا ! .

فقال مارتن ديل : ماذا تعني ؟ .. في الجراج سيارتان ..

ـ سيارتان بغير وقود ! .

وقال نورن فجاة وكان جامدا في مكانه ذهولا :

ـ ثم ان سيارتي بها خلل .. وقد تركت سائقي الخاص في المدينة حين ذهبت اليها في المرة الاخيرة .. وليس بها سوى قليل من البنزين .

فقال مارتن ديل وهو ينقر باصابعه على ذراع المقعد :

ـ بالنحس ! . واذن فلن يمكن ان نستقدم احدا من العالم الخارجي لكي يقرر ان كنا مسحورين او غير العالم الخارجي لكي يقرر ان كنا مسحورين او غير مسحورين .. كم تبعد اقرب نقطة معمورة من هنا يا دكتور ؟

ـ اكثر من خمسة عشر ميلا .. واذا بدا لك يا مستر ديل ان تقطع المسافة سيرا في هذه الزوابع الثلجية فلنجرب .

فقال مارتن ديل : وهكذا نحن معزولون عن كل اتصال بالعالم .. فياله من موقف بديع !

قالت اليس وهي تزيد اقترابا من المدفأة :

ولما غابت العجوز عن الانظار قال الدكتور ريناخ لاهثـــا وهـــو يجفف عرقه :

ـ انا آسف لمـا حدث .. فهذه احدى النوبات التي تعتريهـا .. وكنت أعلم ان هـذا سيحدث لهـا بعد ان اهتمت بقدوم اليس وابدت فضولا غريبا .. فهناك شبه ملحوظ .. وليس لأحد ان يلومهـا ..

فقالت اليس في صوت خافت :

ـ انها .. مخيفة .. مستر ديل .. مستر ثورن هل يتحتم ان نبقى هنا ؟ اني افضل الاقامة في نيويورك .. ثم ان البرد هنا شديد فظيع ..

فلم يتمالك ثورن ان هتف قائلا :

ـ والله اني على استعداد لاجتيـاز المسافة سيرا ! .

فقال الدكتور ريناخ باسما : وتتركون الذهب الذي خلفه سلفستر تحت رحمتنـا ؟ .

فقالت اليس في قنوط : انا لا اريد ميراث ابي .. بل لا اريد الان الا ان ابتعد عن هذا المكان ثم .. ثم اني أستطيع العمل وتدبير امر معاشي ..

فقال مارتن ديل : لا مفر من ان تتشددي يا آنسة وتصبري حتى يتيسر لنا ايجاد وسيلة للخروج من هنا ..

فغمغمت اليس وهي ترتعـد : أصبت ..

ـ والان اريد يا ثورن ان تقص على كل ما تعرفه عن هذه القضية ، وخصوصا ما يتعلق « بالبيت الاسود » فقد نجد في تاريخه بعض ما يهدينا ..

انشأ ثورن يتكلم في جفاء وتحد وهو لا يفتأ يحدج الدكتور ريناخ بناظريه ..

فقرر ان شكوكه اثيرت لأول مرة بتأثير سلفستر هيوز نفسه ..

ولما كاتبته اليس توكله في قضيتها استطاع بتحرياته ان يهتدي الى مقـر سلفستر وان يتصـل به .. فنقل الى هذا الوالد الشيخ رغبة ابنته في لقـائه ، واذا الأب يتحمس لهذه الفكرة ويبدي اهتماما متزايدا للاجتماع بفتاته ، وقد بدا المحامي من مسلكه انه كان يعيش في خوف اشـد الخوف من اقربائه المقيمين في البيت المجاور : البيت الابيض .

فقال الطبيب في دهشة : خوف منـا ؟ .. انك لتعلم انه انما كان يخاف الفقر ، لفرط شحه وتقتيره ..

فتجاهل المحامي هذا الاعتراض ، واسترسل في سرد بياناته ، فقـال ان هيوز طلب اليـه ان يستقدم اليس الى أمريكا فورا لكي يوصي لها بممتلكاته قبل ممـاته .. وابى الرجل اباء تاما ان يرشـد عن مخبأ الذهب الا لفتاته وحدها حتى لا يقف اقرباؤه على سره وقد قرر انهم باتوا يطمعون فيه منذ قدومهم الى المكان ..

فقال مارتن ديل :

ـ هلا اخبرتني يا دكتور ، لهذه المناسبة ، متى جئتم للاقامة في هذا البيت : البيت الابيض ؟

منذ نحو سنة .. لعلك لا تصدق هـذيان مجنون كان على عتبة القبر ؟ .. والواقع انه لا سر في مجيئنـــا للاقامة هنا .. فقد قدمت الى سلفستر منذ عام بعد فراق طـويل

ـ هذا كلام لا يطابق المنطق .. ان صح ما قلت ، فعلام
سحر البيت الاسود واختفاؤه ؟!

فاجاب المحامي في شراسة :

ـ لا اعلم .. وانما اعلم ان الامور هنا تسير سيرا غامضا
فيهما ، وان السر كل السر في ابتسامة هذا الطبيب الكاذبة
.. ان من واجبي يا آنسة ان احذرك من هؤلاء الناس ، فهم
ذئاب بشرية ..

فقال مارتن ديل في عذوبة :

ـ لنقصر كلامنا على صلب الموضوع .. لقد كنا
نتداول في مسالة البيت المختفي .. فهل يوجد هنا تصميم
(البيت الاسود) ؟ ..

ولما اجاب الطبيب سلبا أردف مارتن ديل :

ـ من اقام في (البيت الاسود) غير سلفستر هيوز
وزوجته ؟

فأجاب الدكتور ويتاج مصححا :

ـ بل زوجتاه .. فان سلفستر تزوج مرتين .. لعلك
لا تعرفين هذه الحقيقة يا عزيزتي اليس ؟ انني امقت نبش
هذه الفضائح القديمة ، لكن مادمنا بصدد الحقيقة
فلا مفر من بيانها كاملة .. ان سلفستر عامل والدة اليس
شر معاملة ..

فقالت اليس في صوت خافت : هذا ما فهمته

ـ الواقع انها كانت امرأة ابية لم تصطبر على معاملته ..

بيد انها بعد ان حصلت على طلاقها النهائي وعادت الى انجلترا ، اشتد بها الثأر ، فماتت على الاثر .. اذ اطلعت على نبأ وفاتها في صحف نيويورك .

فغمغمت اليس :

ـ توفيت وانا طفلة ..

ـ وقد عمد سلفستر بعد ذلك ، ولم يكن في حالة جنون ظاهرة الى اغواء ارملة غنية تزوجها وجاء بها للاقامة هنا .. وكان لها ولد من زوجها الاول .. وما زال سلفستر بزوجته الجديدة حتى نزلت له عن ثروتها الحسية ، وسرعان ما قلب لها ظهر المجن واخذ يعذبها حتى اختفت المرأة ذات يوم ومعها ولدها .. وقد علمت مصادفة بعد اعوام من هذا الحادث ان المنكودة توفيت في حالة فقر مدقع .

فقالت اليس وهي تنظر اليه في كرب :

وقال نورن مزمجرا :

ـ اغفل والدى .. هذا ! ..

ـ كف عن هذا الكلام ! . فان الفتاة تكاد تصعق ! .. ما صلة هذا كله بموضوع (البيت الأسود) ؟ .

فاجاب الطبيب في دعة :

ـ ان مستر ديل طلب كافة البيانات ..

فقال نورن في عنف :

ـ كل ما يهمنا من البحث هو الله جعلت تراقبني منذ ان جئت الى هنا .. وكنت تخاف ان تتركني وحدى .

ولو دقيقة .. بل انك عهدت الى كيث في استقبالى وزيارتك في كلتا زيارتي الى هنا ، لكي (يحرسني) ولا ريب ثم انك تحريت الا انفرد بسلفستر لحظة واحدة .. وما لبث الرجل ان انتابته تلك الغيبوبة التي لم يفق منها ابدا .. فعلام كل هذه المراقبة الدائمة والسهر المتصل ؟ .. والواقع انك هيأت لي كافة العوامل لكي ارتاب فيك وفي سلوكك ! ..

فقال الدكتور ريناخ ضاحكا :

ـ اتهم ما شئت .. لكن هذا لا يمنع ان نتناول افطارنا ولو كانت الاخيرة قاب قوسين او ادنى ! .. ولحالى ! .

وكذلك دعا زوجته لاعداد طعام الافطار ..

الفصل السابع

استيقظ نورن وئيدا وهو يشعر بخطر خفي والغرفة قارسة البرد وطلائع الصبح تبدو من النافذة .. وامتدت يده الى ما تحت المخدة وهو يقول في لهجة الوعيد :

ـ قف حيث انت ! ..

فاجابه صوت مارتن خافتا :

ـ اذن فعندك مسدس انت ايضا ! .. هذا انا يا نورن ! .. جئت للتشاور معك ، وبهذه المناسبة ترى انه لا يتعذر التسلل الى الغرفة ! ..

فجلس نورن بعد ان اعاد المسدس الى مكانه ، وقال متبرما :

ـ ماذا تقصد ! ..

— ارى قفل غرفتك قد اختفى من مكانه ، كما اختفى قفل غرفتي وقفل غرفة اليس .. وكما اختفى (البيت الاسود) وذهب سلفستر ..

فقال تورن وهو يلف اللحاف حوله وقد اشتد شعوره بالبرد :

— وبعد يا مارتن ؟ .

فاشعل مارتن ديل سيجارة وقال اخيرا :

— الواقع ان هذه قضية غريبة يا تورن .. قضية امتزجت فيها الروحانيات بالماديات اغرب امتزاج .. اني كنت الان استطلع ، وقد يهمك ان تعلم ان صديقنا العملاق الشاب قد اختفى .

— كيف اختفى ؟ ..

— اني رايت فراشه فوجدته لم ينم فيه قط ..

— وقد لاحظنا ايضا انه لبث غائبا سواد امس ..

— هو ذاك يا تورن .. ان صديقنا العملاق الساخط المتبرم يغيب ويختفى فترات منتظمة .. فاين يذهب ؟ ..

فغمغم المحامى :

— انه لا يمكن ان يذهب بعيدا فى هذه الزوابع الثلجية الشنيعة .

— ان مجال التفكير متسع ممدود .. ثم ان صديقنا ريتاج لم ينم فى فراشه الا فترة محدودة .. فهل هربا معا ، او منفردين ؟ .. انها قضية شيطانية ..

فقال تورن وهو يرتعد بردا :

— اني عجزت عن فهمها ، واكاد انفض يدي منها .. لم تعمل شيئا منذ ان جئنا الى هنا .. ثم هناك ذلك اللغز المحير ، اعنى اختفاء (البيت الاسود) .

فتنهد مارتن ديل ونظر فى ساعته فالفاها السابعة .. فنضا تورن عنه الغطاء استعدادا للنزول مع صاحبه ..



خرج مارتن ديل بعد الافطار وحده لكى يلقى نظرة اخرى على مكان البيت المختفى على حد زعمه . فاذا الثلوج قد تراكمت حتى بلغت نوافذ الطبقة الارضية ، والاشجار اختفت تحتها او كادت وقد شق امام مدخل البيت الابيض طريق محدود ما لبث الثلج ان غطاه من جديد ..

ووقف مارتن ديل برهة يستنشق الهواء الصافى ويسرح الطرف في الرقعة الخاوية التى قام عليها (البيت الاسود) .. وما عتم ان رفع ياقة سترته وانغمر فى الثلوج المتساقطة متجها الى الغابة ..

وكان سيرا شاقا لم يخل من لذة ، فقد شعر بالدفء بعد حين ، والدنيا من حوله بيضاء ناصعة ساكنة خامدة خابية .

وكان المشهد احفل بالجمال والمتاع حين افضى الى الغابة التى اكتست ثوبا غريب الاشكال والاوضاع .. واذ وجد امامه آثار اقدام واضحة المعالم لم يطمسها الجليد ممتدة بعيدا وكأنها تفضى الى غاية معينة ، راح يتتبعها مستطلعا مستقصيا وقد حدثته النفس بقرب كشف جديد .

بيد انه لم يتقدم بعيدا حتى استحال هذا العالم الناصع البياض فى عينيه الى ظلمة دامسة ، وشعر بوجهه يلامس جليد الارض المرطوب على نحو غريب ، ثم لم يعد يعى شيئا ..

***

فتح مارتن ديل عينيه .. فاذا هو ممدد على ظهره فوق الجليد وقد انحنى فوقه ثورن يهزه صائحا :

ـ مارتن ؟ .. هل انت بخير ؟ ..

فجلس مارتن ديل وهو يلعق شفتيه ، وقال متأوها :

ـ الى حد ما .. ماذا اصابنى ؟ .. انى شعرت كأن صاعقة انقضت فوق رأسى ! .. وجعل يتحسس مؤخرة رأسه ، ثم عالج النهوض مترنحا وهو يقول :

ـ لا بأس يا ثورن .. يبدو اننا وصلنا الى حدود الارض المسحورة ! ..

فنظر اليه المحاربى فى قلق وقال له :

ـ لعلك لا تهذى ؟ ..

فتطلع مارتن ديل حواليه باحثا عن آثار اقدام كان يتوقع رؤيتها ، بيد انه لم يجد سوى آثار قدمى ثورن ، وبدا له انه لبث غائبا عن رشده فوق الجليد زمنا غير يسير .

وقال اخيرا فى لهجة ذات مغزى :

ـ معنى هذا انه محظور علينا ان نتجاوز هذه المنطقة ، والا فالويل لنا ! .. معذرة يا ثورن . لعلك انقذت حياتى ؟ ..

فأجاب ثورن وهو يجيل نظرة فى ارجاء الغابة :

– لا ادرى .. ولا اظن .. على انى وجدتك ممددا هنا وحدك .. وقد تملكنى اشد الجزع اذ حسبتك فارقت الحيـــــاة ..

فقال مارتن ديل وهو يرتعد :

– لقد كان هذا شيئا قريب الاحتمال .

– بعد ان ذهبت عنا صعدت اليس الى غرفتها و... ريثما انه سيغفو قليلا ؛ فلم اجد احد الا ان اقوم بجولة خارج المنزل .. ولما تذكرتك تتبعت آثار قدميك ال... كانت باقيـــة فى الجليد ، ثم وجدتك اخيرا .. حيث انت .. اما الان فان الاثار ذهبت وانطمست ..

فقـــال مارتن ديل :

– هـذه ظاهرة غريبـة ! .. فلو اننا ازاء قوة خفيـة غامضة لما تنزلت الى هذا العدوان الرخيص ..

فغمغم تورن قائلا :

– نعم .. هى الان حرب سافرة مكشوفة .. ومهما يكن عدونا الخفى فانه لن يقف عند حـد .

– بل هى حرب رحيمة .. فقـد كنت تحت مطلق رحمة العدو الخفى ، وكان بوسعه أن يقضى على فى سهولة تامة و ..

وكف عن اتمام جملته حين رن فى سمعهما صدى مقذوف نارى بعيـد ، فهتف مارتن ديل :

– هو صادر من البيت .. هلم بنا ..

وقال تورن شاحب اللون وهمـا يشقان طريقهما فى الثلوج :

– انى نسيت مسدسى تحت الوسادة فى غرفة النوم .. اظن ..

فدس مارتن ديل يده فى جيبه قائلا :

– اما انا فمسدسى معى .. ياللشيطان ! .. ان الرصاص قد انتزع منـه ! ..

وكف عن الكلام وقد اطبق شفتيه وضغط على اسنانه ..

واذ بلغا (البيت الابيض) شاهدا الطبيب وزوجته والفتاة يدورون منزعجين ؛ وهتف الطبيب حين رآهما :

– اسمعتما الصوت ايضا ؟ . ان مجهولا اطلق رصاصة ! .

فقال مارتن ديل : اين ؟ ..

– لا ادرى .. فقد كنت نائما حين صـــدر الصـــوت .. وقالت بيالى انه ربمـا صدر من خلف البيت .. !

– واين كيث ؟ .

– لا اعلم اين ذهب ..

وبعم مارتن ديل شطر الباب الخلفى وفتحه .. فراى الثلوج خارج الدار ملساء لم تطرقها قدم انسان .. حتى اذا عاد الى غرفة الجلوس استقبلته اليس بادية الانفعـال وراحت تقول فى حرارة :

– لست ادرى الام نبقى فى هـــذا البيت المروع .. انى

وجدت ما فيه الكفاية يا مستر ثورن ولابد ان تذهب
بعيدا عنه فورا ! .. لن أبقى فيه لحظة واحدة ! .

فقال ثورن فى كرب أليم وهو يأخذ يدها :

– الواقع انه لا احب الى من هذا يا آنسة .. لكن الا ...

أما مارتن ديل فلم يسمع بقية الحديث ، بل ارتقى ال...
مسرعا ومضى من فوره الى غرفة ثورن ففتحها وهو ...
الهواء .. وما لبث ان دنا من الفراش وهو يبتسم ابتسـ...
ذات مغزى فاخرج من تحت المخدة مسدسا عتيق الطـ...
فحص خزانته فالفاها خالية .. وفيما هو يرفع فوهتـ...
الى أنفه اذ قال له ثورن لدى الباب وقد جاءت معـ...
الفتاة :

ماذا وجدت ؟

فاجاب مارتن ديل وهو يلقى المسدس جانبا :

– خيرا .. فنحن الان ازاء حقائق مادية ، لا خيـ...
ولا اوهام .. هى حرب كما قلت يا ثورن .. وقد اطـ...
الرصاصة من مسدسك ، فان فوهته ما تزال دافئـ...
ورائحة البارود لم تذهب عنها .. ثم ان الرصاص قد ...
منه ..

فقالت اليس وهى تتأوه :
– لكن ما معنى هذا ؟

– معناه ان هناك من ضايقه ابتعادنا عن البيـ...
فتوسل بهذه الخدعة لاعادتنا اليه .. ان الرصاصة كا...
تحذيرا وخدعة فى نفس الوقت ..

فتهالكت اليس فوق فراش ثورن قائلة : اتعنى اننا ..
فاجاب مارتن ديل : نعم .. فنحن اسرى منذ الان ..
اسرى لا يجوز ان يتجاوزوا حدود السجن .. ترى لاى
غرض ؟

وانطوى النهار دون جديد الا من تساقط الثلج .. وظهور
... حوالى الظهر وهو على عهده من السخط والتبرم ..

ولم يستطع مارتن ديل ان يذوق النوم فى ليلته لفرط
ما اجهد ذهنه فى التفكير ملتمسا تذليل هذه المعضلة
المحيرة .. حتى اذا انتصف الليل شعر بدافع خفى يدفعه
الى الخروج ، فتسلل الى البهو البارد الحالك الظلام حيث راح
يتلمس طريقه فى جهد ومشقة .. وفجأة عثرت قدمه فى
السجادة فكاد يهوى على الارض لولا ان ارتطم بالجدار ..

على انه لم يكد يستعيد توازنه حتى سمع صرخة اورة
صدرت مكتومة خافتة من ناحية غرفة اليس .. وكانت
الصرخة تشف عن اشد الجزع والتخاذل حتى لم يتمالك
مارتن ديل ان وثب شطر باب الغرفة وهو يفتش فى جيبه
عن الثقاب ..

وفى اللحظة التالية وقف فى مدخل الغرفة والعود
مشتعل بيده .. فوقع نظره على اليس جالسة فى الفراش
والغطاء حول كتفيها وعيناها تلمعان فى الضوء اليسير ..
وساعد الدكتور ريناخ فى كامل ملابسه واقفا امام دولاب
...د ممدودة الى درج كان آخذا فى نثر محتوياته ..

وقال مارتن ديل والضوء يتراقص :

– ارجو ان تلزم مكانك يا دكتور . ان مسدسي فـ[...]
رصاصه ، لكنه ما زال صالحا كاداة للضرب ذريعة ..

ودنا مارتن ديل من المائدة فوقها مصباحا قبل ان[...] النقاب ، فأشعل عوداً آخر واضـاء المصباح ثم عـ[...] مكانه لدى البـــاب ..

وقالت اليس همســا : اشــكرك ! ..

– ماذا جـرى يا آنسة ؟ ..

فاجابت الفتاة : لا .. لا اعلم .. اني لم استرح في [...] واستيقظت منذ برهة عندما سمعت صوتا في الممـ[...] ثم دخلت انت .. بارك الله فيـك ..

– اني سمعتك تصرخين ..

– افعلت هذا حقا ؟ اني .. ما معنى هذا يا عمـ[...] ماذا تفعــل في غرفتي ؟

فارتدت يد الطبيب عن الدرج واغلقـه واعتدل في و[...] وقد لاحت في عينيـه امارات البراءة واجـاب قائلا :

– ماذا افعـل يا عزيزتي ؟ . الواقع اني ما جئت الا [...] اطمئن على انك بخير بعـد أن رايت اضطرابك في النهار [...] اصفحي عني ان كنت أزعجتك ..

فتنهد مارتن ديل قائلا :

– ليس هذا من البراعة في شيء يا دكتور .. بل لعـ[...] ادنى الى التحفظ ، وهو ولا ريب وليد المفاجاة والارتبا[...] ان الانسة هيوز لم تكن موجودة في الدرج مهما يكن شـ[...]

[...]ي يطعنني عليهـا فيـه ! . هل تسلك هذا الرجل سـو[...] [...]ا آنســة ؟

– كلا .. ولو انه لمسني في الظلام لمت حتمـا ..

فقال الدكتور ريناخ في استياء : يالها من اطراء بديع !

فقال مارتن ديل : اذن عمن كنت تبحث يا دكتور ريناخ ؟

فاستدار الرجل البدين حتى واجه الباب بجانبه الايمن ، واجاب ضاحكا :

– اني ثقيـل السـمع في اذني اليمنى .. طابت ليلتك يا اليس .. ارجو لك احلاما هنيئة .. هلا سمحت لي بالمرور يا سيدي ؟ ..

ووقف مارتن ديل يتفرس في الطبيب حتى غاب عن الانظار .. وما كاد البـاب يغلق حتى قالت الفتـاة :

– استحلفك بالله يا مستر ديل ان تذهب بي من هنـا [...]ـدا .. انك لا تقدر مبلغ جزعي من كل .. كل هـذا .. كيف تحدث هذه الامور هنـا ؟ لسنا بين قوم عقلاء يا مستر ديل .. وسوف نصاب حتما بالجنون اذا بقينـا هنا اكثر من هذا القـدر فهل تذهب بي ؟

فجلس مارتن فوق حافة الفراش ، وسالها في رقة :

– انت شديدة الاضطراب الى هذا الحد يا آنسة ؟ .

فاجابت في صوت خافت : بل اني شديدة الرعب .

– اذن فسـافعل غـدا كل ما يمكن ، مع تورن .. انه [...]خبرني ان سيارته بها كمية محدودة من البنزين ..

فتستقلها الى حيث ينفذ البنزين ، ثم نقطع باقى المسـ
ـسيرا .

فنظرت اليه بعينين يطل منهما الجـزع : وقـالت

ـ اتظنه .. يتركنا نذهب ؟

ـ من ؟

ـ عدونا الخفى ، مهما تكن صفته

فنهض مارتن ديل وهـو يقـول باسما :

ـ سنجتاز هـذه العقبة متى ظهرت لنا .. والآن ارجـ
ان تنالى قسطا من النـوم ، فان امامنا يوما شاقا غدا

ـ اظن انى .. انه ...

ـ دعى المصباح مضاء ، وضعى مقعدا تحت مقبض الـ
بعد خروجى .. وبهذه المناسبة ، هل يوجد فى حيـازة
شىء يمكن ان يطمع الدكتور ريناخ فى اخـذه ؟ .

ـ هذا امر حيرنى فى الواقع ! .. ولا استطيع ان اتصـ
وجـود مثـل هذا الشىء .. فانا فقيرة يا مستر ديل
ولا املك اكثر من ملابسى التى جئت بهـا .

ـ الا توجد لديك رسـائل قديمة ، او وثائق ، او تذكار

ـ ليس عـندى غير صـورة عتيقة لامى ! .

ـ آه ! . ما اظن الدكتور ريـنـاخ عاطفيا الى هذا الحد
والآن طاب ليلك .. لا تنسى المقعد .. ولا تخافى شـ
قـط .

وما كاد مارتن ديل يعـود الى غرفته حتى وجـد نورتن
فى انتظاره مرتديا جلبـاب نوم عتيقا ... فبادره قائلا :
ـ آه ! الاشـباح تدرج وتطوف ! . هل جفاك النوم انت
ايضـا !

فأجاب المحامى الشيخ مرتعدا : وكيف انوم فى هـذا
البيت الجهنمى اللعين ؟ .. اراك بادى المرح

فجلس مارتن ديل وقـال وهـو يشعل سيجارة :

ـ لا مرح ، بل نشاط ! سمعتك تتقلب فى فراشك منذ
دقائق .. فهل جد .ا اخرجك من غرفتك فى هذا البرد ؟

فأجاب المحامى وهو يذرع الغرفة : لا شىء .. مجـرد
قلق عصبى .. اين كنت ؟

فأخبره مارتن ديل بمـا كان ، واردف قـائلا :

ـ ان ريناخ هذا شخصية عجيبة فذة ! . الكن لنـدع
الاعجاب جانبا .. والمهم اننا سنضطر الى التخلى عن هـذه
القضية ولو مؤقتا .. ومع انى كنت ارجـو .. لكن كفى ..
فقد وعدت الفتـاة المنكودة .. وسنغادر البيت غـدا .

ـ لكى نموت بردا فى الطريق ؟ يالها من فكرة بديعة ! .
لكنهـا مع ذلك خيـر من البقـاء فى هـذا البيت المروع
الكريه .

ثم تطلع الى مارتن ديل فى فضـول قائلا :

ـ لا يمنعنى الا ان اصارحك بخيبة املى فيك يا مارتن ..
فاين دهاؤك وعبقريتك ؟

فأجاب مارتن ديل وهو يهز كتفيه :

ـ انا لم ازعم قط انى ساحر او عالم بالغيب ! فان ما حدث هنا لهو السحر بعينه ، او احدى المعجزات .. ولست افكر انه من العار ان تتخلى عن القضية وخصوصا فى هذا الوقت .

ـ فى هذا الوقت ! ماذا تقصد ؟ .

ـ اصارحك يا نورن انى قضيت شطرا من نهارى افكر زناد الفكر فى هذه القضية .. واذا كان حلها النهائى لم يتهيأ لى بعد ، فانه بات قريبا منى .

فقال المحامى وقد فغرفاه : تعنى انك ..

فقال مارتن ديل : الواقع انها قضية رائعة فريدة فى بابها .. بل لعلها اروع واغرب قضية عرضت لى .. ولو انى كنت من اهل التقوى والتدين .. لكن لا لزوم لهذا الكلام .. والقضية رغم شذوذها تتلخص فى هذه الكلمات .. نحن ازاء ثروة ذهبية مخبأة فى بيت .. ولا يلبث البيت ان يختفى ... فاذا اردنا ايجاد الثروة ! فعلينا ايجاد البيت اولا .. واعتقد ..

فقاطعه نورن قائلا : لا استطيع ان اقول انك قمت بسعى فى هذا السبيل ، اكثر من تلك الحركات المشعوذة التى فعلتها بمكنسة كيث ! الحقيقة انك لم تفعل اكثر من الجلوس والانتظار ! .

ـ صدقت .. الانتظار .. فالانتظار هو التعويذة .. الرقية التى سأستدرج بها (روح) البيت الاسود .

وحسب نورن ان صاحبه يهزل او يمزح ، بيد انه قام جادا كل الجد ، ولم يتمالك ان هتف به قائلا :

ـ ما هذا الكلام الفارغ !

فنهض ديل قائما وقال وهو يربت على منكب المحامى :

ـ عد الى فراشك يا صديقى .. فانك لن تصدقنى اذا اخبرتك .

ـ بل انى استحلفك بالله ان تخبرنى يا ديل .. فانى سافقد عقلى اذا لم اقف على تفسير هذه القضية عاجلا .

فتنهد مارتن ديل قائلا :

ـ لو اخبرتك لضحكت منى وسخرت بى .

ـ ما بى من ميل الى الضحك والسخرية .

ـ والحقيقة ان القضية ليس فيها ما يضحك .. ولقد قلت منذ برهة انى لو كنت من اهل التقوى والتدين لازددت ايمانا وصلاحا بعد الذى حدث فى الايام الثلاثة الاخيرة .. لكنى من اهل الذنوب والخطايا ! .. ومع ذلك ، فانى ارى فى القضية « قوة » سماوية .

فقال المحامى مزمجرا : ما ارى الا انك اقرب الى التمثيل منك الى الجد ! .. لعلك تجسر ان تقول انك رايت يد العناية الربانية ؟ .. فى هذه القضية .. لا تكفر يا رجل ، فما زلنا على حظ من الايمان !

فغمغم مارتن ديل قائلا : يد العناية ليس هذا بالضبط

يا تورن .. اذا قدر لهذه القضية ان تحل ، فلن تحلها يد .. بل مصباح ..

ـ مصباح !؟ مصباح !؟

ـ مصباح رباني ! .. اني شئت هذا التعبير ـ

الفصل الثامن

اسفر اليوم التالي قاتما متجهما كسابقه . وما برحت الثلوج تتساقط دراكا وكانما السماء تتفطر تباعا

وسلخ مارتن ديل شطرا كبيرا من النهار في محاولة اصلاح سيارة تورن .. فلم يوفق الى غايته الا وقد حل عصر اليوم ..

وانه لكذلك اذ بدا له كيث واقفا بباب الجراج وفي كلتا يديه (صفيحة) كبيرة ، فبادره مارتن ديل قائلا :

ـ اراك عدت اخيرا الى عالم الانس بعد غيابك المتكرر في عالم الارواح ؟ .

فلم يعد كيث ان قال بهدوء :

ـ اذاهب انت الى جهة يا مستر ديل ؟

ـ طبعا .. هل في نيتك اعتراض ؟ .

ـ ان هذا يتوقف على طبيعة الجهة التي تذهب اليها .

ـ واذا اخبرتك بوجهتي ؟

ـ لتكن ما تكون .. فانك لن تخرج من هذه الارض حتى اعلم وجهتك ..

فقال مارتن ديل باسما :

ـ تعجبني صراحتك يا كيث ! . لا بأس .. سأصارحك .. انني وتورن عائدان بالآنسة هيوز الى نيويورك ..

ـ اذا كان ذلك فلا اعتراض عندي .

فتفرس مارتن ديل في محيا الشاب العملاق ، فاذا الجهد والقلق بادية في اساريره ..

وما لبث كيث ان وضع (الصفيحتين) على الارض قائلا :

ـ ولك ان تنتفع بهذا البنزين ..

ـ بنزين ! . من اين جئت به ؟

فتجاهل كيث هذا السؤال ، وقال :

ـ اراك اصلحت سيارة تورن .. لقد كنت في غنى عن هذا التعب ، اذ كان بامكاني اصلاحها ..

ـ ولم لم تفعل ؟ ..

ـ لانه لم يسألني احد ..

ودار العملاق على عقبيه واختفى ..

وقد لبث مارتن ديل برهة عابسا .. وما عتم ان صب البنزين في خزانة السيارة وادار محركها وتركه دائرا ثم عاد الى البيت فقصد الى غرفة اليس التي كانت لدى النافذة ، فلما رأته هتفت قائلة :

ـ انك اصلحت سيارة مستر تورن يا مستر ديل ؟

فقال مارتن باسما : اني وفقت اخيرا .. هل اتممت استعدادك ؟

ـ نعم ! . وانا الان احسن حالا ونحن على اهبة الرحيل ..

ـ لقد رأيت مستر كيث يجيء بالبنزين .. فيالها من مكرمة منه .. والحقيقة انى لم اكن اعتقد قط ان مثل هذا الشاب اللطيف ..

وتورد محياها ولمعت عيناها ، وغيرت مجرى الحديث قائلة :

ـ اتظن الرحلة ستكون شاقة ؟

ـ قد يكون السير فى الروابي الثلجية صعبا ، لكن السيارة قوية متينة البنيان .. واذا ساعدنا الحظ ..

وامسك مارتن ديل فجاة عن اتمام كلماته وقد سمرت عيناه فى السجادة العتيقة التى تحت قدميه وقد بدت فى نظراته امارات الدهشة ، حتى لقد سألته الفتاة :

ـ ماذا جرى يا مستر ديل ؟

ورفع مارتن ديل عينيه واجاب وهو يتنفس من اعماق رئتيه : ماذا جرى ؟ . لا شيء .. الدنيا بخير والكون يجرى فى نظامه ! .

ونظرت الفتاة الى السجادة ، فما لبثت ان قالت فى رنة الفرح : آه ! الشمس ! .. ان الثلج قد انقطع يا مستر ديل .. وهذه هى الشمس تغرب امامنا ..

فقال مارتن ديل فى نشاط متقد : قد حان الوقت ايضا .. وسنسير فورا ..

وتناول حقائبها وسار الى غرفته لكى ياخذ حقيبته وهو يصفر على نحو غريب ..

ووقفت اليس تودع اصحاب البيت فى مرح وكأنه لم يحدث شيء غير عادى .. فتركت حقيبة يدها على الرف الى جانب صورة امها المكبرة وعانقت مدام ريناخ والعجوز سارة وابتسمت للطبيب صفحا .. ثم ارتدت من فورها الى الرف واخذت حقيبتها وصوبت الى كيث الكاسف البال نظرة غامضة وهرولت الى الخارج مسرعة الى حيث كان تورن جالسا فى السيارة بادى البشاشة والغبطة ..

وتبعها مارتن ديل متئدا فجلس الى مقعد القيادة وادار المحرك ، فصاح الدكتور ريناخ وهو لدى الباب :

ـ اتعرف الطريق ؟ . در يمينا فى نهاية هذا الطريق (طريق السيارات) .. ثم سر امامنا بلا انحراف .. وستصل الى الطريق الرئيسى فى نحو ..

وغاب صوته فى ضجة محرك السيارة التى انسابت بين اشارات الوداع ..



وارخى الليل سدوله والسيارة ماضية فى سيرها وتبدد مستهدية بانوارها الكاشفة القوية .. حتى اذا استوت على الطريق الرئيسى بعد وقت خيل اليهم انه ساعات ، راحت تنهب الارض نهبا ، ولم يمض وقت طويل حتى بلغوا البلدة المجاورة ..

وكان مشهد الانوار الكهربائية والشوارع المعبدة والمبانى المشيدة باعثا على اغتباط الفتاة وفرحها وانتعاشها ..

واوقف مارتن ديل السيارة لدى احدى محطات البنزين ، ثم عاود السير بعد اذ تم تموينها والفتاة تعرب عن جزيل

امتنانها لما رأت من عطف المحامي .. على أنها قطعت حديثها وهي تقول في دهشة :

ــ ماذا جرى بالله يا مستر ديل ؟

فقد أوقف مارتن ديل السيارة في تقاطع وأسر الى الضابط القائم كلاما أجاب عليه وهو يشير بيده ، فما لبث مارتن ديل أن استأنف السير منعطفا في شارع آخر والفتاة والمحامي ينظران اليه في دهشة ويستوضحانه غايته منها ..

ووقفت السيارة عند مبنى كبير ذي أنوار خضراء دلف اليه مارتن ديل وغاب فيه نحو ربع ساعة ثم خرج منه وهو يصفر .. فسأله نورن : ماذا جرى يا ديل ؟

فأجاب مارتن ديل وهو يستأنف السير بالسيارة : هناك مسألة يجب أن تسوى ..

وشد ما كان انزعاج الفتاة والمحامي حين ألفا السيارة تعود أدراجها في الطريق الذي جاءت منه .

فقال مارتن ديل :

ــ نعم نحن عائدون الى البيت الأبيض .. فإن ذاكرتي حادة لا تنسى بسهولة .. وفوق هذا فمعنا مدد هذه المرة .. ولو نظرتم خلفكم لرأيتم سيارة تشيعنا .. وهي سيارة بوليسية ، فيها رئيس البوليس المحلي ونخبة من رجاله .

فهتفت اليس وما زالت على انزعاجها : لكن لم هذا يا مستر ديل ؟

فأجاب مارتن ديل في لهجة مستطيرة : لأن لي طريقتي

الخاصة في معالجة القضايا وكشف اسرارها ولان الالاعيب السحرية قد بطل مفعولها ..

ـ الالاعيب السحرية ..

فقال ضاحكا : بل انى ساصير الان ساحرا بدورى .. لقد رأيتم بيتا يختفى .. فساظهره لكم مرة اخرى ! .

فجلسا يحملقان فيه ذهولا وقد انعقد منهما اللسان .. وما لبث ان قال فى صلابة :

ـ وحتى اذا تجاوزنا عن موضوع تافه كالبيوت المسحورة، فما ينبغى لنا ان نتجاوز عن جريمة كجريمة .. القتل !!

الفصل التاسع

شاهدوا « البيت الأسود » قائما امام اعينهم ! .

لم يكن شبحا ولا سربا ! . بل كان بيتا راسخا ثابت القواعد والاركان ! .

شاهدوه قائما فى نهاية « طريق السيارات » كما كان من قبل ! .

كانت مفاجأة انعقد لها لسان الفتاة ولسان المحامى الشيخ .. فلم يملكا الا ان يحدقا مشدوهين فى ظواهر هذه المعجزة الخارقة التى فاقت معجزة اختفاء البيت ! .

اما مارتن ديل فقد اوقف السيارة ووثب الى الارض وهو يومىء الى السيارة الخلفية ، ثم هرع الى « البيت الأبيض » وفى اثره رجال البوليس ككلاب الصيد الظماى فى اعقاب الفريسة ، بينما تبعهم تورن واليس كالمسحورين

ودكل مارتن ديل باب « البيت الأبيض » بقدمه ودخل شاهرا مسدسا عامرا وهو يقول :

ـ سلاما وتحية ! . ماذا يا دكتور ريناخ ! . الا ترحب بضيوفك ؟ ..

وقد جلس الطبيب البدين رافعا يده بالكاس التى كان يهم بشربها وقد غاض الدم من وجنتيه فاستحالتا الى لون الرماد ، فى حين راحت زوجته تولول فى سيرها والعجوز سارة تنظر فى بلاهة الا كيث الذى وقف لدى النافذة تلوح على وجهه امارات الاعجاب تمازجها مرارة ظاهرة ..

وانتشر رجال البوليس السرى فى المكان صامتين .. وتهالكت اليس فى مقعد وهى تنظر فى جزع شديد الى وجه الدكتور ريناخ .. وسرعان ما صدر صوت يشير واذا رجال البوليس تراكضون الى النافذة التى كان كيث واقفا بجانبها .. بيد نه كان اسبق منهم .. اذ راح يعدو فى الثلوج متجها الى الغابة كالغزال الوحشى .. فهتف بهم مارتن ديل :

ـ لا تدعوه يفلت منكم ! .

فوثب ثلاثه رجال من النافذة فى اثر العملاق الهارب شاهرى المسدسات .. واذا قصف الرصاص يسمع خارج البيت مقترنا باضواء بارقة خالطت ظلمة الليل ..

ويمم مارتن ديل شطر الموقدة يدفىء يديه .. وعاد الدكتور ريناخ الى مقعده متئدا شديد الاتئاد .. وتهالك تورن فى مقعد آخر وقد رفع يديه الى راسه .. وانثنى مارتن ديل قائلا :

– لعلى اخبرتك ايها الكابتن بموجز لما حدث هنا منذ وصولنا ، يسمح لك أن تستوعب ما سوف اقول ..

واذا اوما الضابط القوى ايجابا اردف دبل قائلا فى تفكه :

– ولعلك تذكر يا لورن انى لأول مرة في حياتي تطلعت الى معونة سماوية .. ولا يسعنى الا ان اعترف امام المتآمرين فى هذه الجناية الشاذة الخارقة انه لولا فضل العناية الربانية وعنايتها لى لافلحوا فى مؤامرتهم بصدد ميراث اليس هيوز ..

فقال الدكتور ريناخ :

– لقد خابت آمالي في عبقريتك ..

فتطلع اليه مارتن دبل وقال باسما :

– يؤسفنى ان يكون هذا شعورك .. والان اعيرونى سمعكم .. حينما وصلت الى هنا لأول مرة مع مستر لورن والآنسة هيوز كان الوقت عصرا .. ولما نظرت من نافذة غرفتى رايت الشمس تغرب .. ولم يكن لغروب الشمس معنى خاص اذ هو ظاهرة عادية مألوفة لا يهتم بها الا الشعراء والفلكيون ومن اليهم .. ولكن لأول مرة كان غروب الشمس مسالة جوهرية لمن ينشد الحقيقة .. اذ كانت بمثابة « مصباح ربانى » اعدته العناية الالهية لكى تبدد به دياجير الظلام .

واليكم البيان .. كانت غرفة الآنسة هيوز فى ذلك اليوم فى الجانب الاخر من « البيت الابيض » الذى فيه غرفتى .. وما دامت الشمس تغرب فى نافذتى فمعنى هذا انى اواجه الغرب وهى تواجه الشرق .. والى هنا لا غرابة .. وقد اوى كل منا الى مضجعه تلك الليلة دون

حدث .. فلما استيقظت فى الصباح الساعة السابعة اى عقب شروق الشمس فى هذا الفصل الشتوى رايت .. ماذا رايت ؟ اشعة الشمس تغمر نافذتى » ..

واذ لم ينبس احد ببنت شفة هتف مارتن دبل على الاثر :

– الم تفهموا ؟ .. لقد غربت الشمس فى نافذتى من اليوم السابق .. واذا بها الان تشرق فى نفس النافذة ! ..

فرفع الدكتور ريناخ كاسه وشرب نخب هذا الكلام تحية وتقديرا ، بينما مضى دبل يقول :

– والواقع ان مغزى هذه الظاهرة السماوية لم يسترع نظرى اول الامر .. بيد انى لم البث فيما بعد ان تدبرت معناها .. ورايت فيها علامة ربانية هدتنى الى تفسير تلك الظاهرة الخارقة المدوخة ظاهرة اختفاء « البيت الاسود » بين عشية وضحاها ..

بيد انه مع ذلك لم اكن مستيقنا .. وكنت فى حاجة الى تكرار هذه الظاهرة السماوية لكى يصبح حدسى حقيقة واقعة .. لكن الثلوج ما برحت تنهمر والشمس عن تحتها خلف نقاب صفيق فلم يسعنى الا ان اعتصم بحبل الصبر والانتظار ريثما ينقطع تساقط الثلوج وتسطع الشمس من جديد ..

فلما طلعت الشمس بعد احتجابها لم يبق فى نفسى ادنى شك .. وقد رايتها اولا فى غرفة الآنسة هيوز التى كانت تواجه الشرق عصر يوم وصولنا .. لكن .اذا رايت فى غرفة الآنسة هيوز فى مغرب يومنا هذا ؟! .. رايت الشمس « تغرب » ! ..

ومعنى ذلك ان غرفتها كانت تواجـــه الغرب فى هـــذا اليوم .. فكيف يمكن ان تواجه غرفتها الغرب فى يومنا هذا وقد كانت تواجه الشرق يوم وصولنا ؟ . وكيف يمكن ان تواجه غرفتى الغرب يوم وصولنـا ثم تواجه الشرق يومنا هذا ؟ .. هل كفت الارض عن دورتهـــا واضطرب نظام الكون ؟ .. ان كان هناك تفسير آخر .. تفسير ابسط من كل هذا حتى ليحير العقـول لفرط بساطته ؟ .

كان التفسير المنطقى الوحيد الذى يتفق وقوانين الطبيعة والبحث العلمى هو انه فى الوقت الذى كان يبدو فيه ان البيت الذى كنا اليوم فيه والغرف التى اقمنا بهـــا هى الظاهر فى نفس البيت والغـرف التى نزلنـا بهـا يوم وصولنا ؛ فانها فى الواقع لم تكن كذلك .. اللهم الا اذا قلنا ان هذا البيت نحن فيه والآن قـــد ادير فى مكانه كما تدار بيوت الاطفال حول العصـا ؛ وهذا مالا يسـلم به عاقل ؛ والنتيجة انه غير البيت .. وصحيح ان مظهره متشـابه فى الداخل والخارج : وبه نفس الاثاث والسجاد والزخارف . ولكنه بيت آخر .. بيت مطابق للبيت الاول فى كافة دقائقه وتفصيلاته مع فارق واحد : هو موقعه الارضى بالنسـبة الى الشمس ..

واسمعوا الان التفسـير العملى الذى يقر كل شىء فى نصابه .. اذا كان هذا « البيت الأبيض » الذى كنـا فيـه اليوم ليس هو نفس (البيت الأبيض) الذى نمنا فيـه ليلتنا الاولى ؛ وانمـا هو بيت مطابق له فى موقع آخـر بالنسـبة الى الشمس ؛ فالنتيجة هى ان البيت الاســـود الذى اختفى ظاهريا لم يختف اطلاقا .. بل بقى حيث كان قائما .

ان البيت الأسود لم يختف ، بل نحن الذين اختفينا ! .

ان البيت الاسود لم ينتقل من مكانه ، بل نحن الذين انتقلنـا ..

لقد نقلنا فى اثناء ليلتنـــا الاولى الى مكان آخر متشـــابه فى الغابات المحيطة به ، وفى (طريق السيارات) الذى ينتهى بجراج ؛ وفى الطريق العـام الممتد قربه ..

اجل ، متشابه فى كل شىء ، الا فى عدم وجود « بيت اسود » بجانبه ، بل تجاوره بقعـة خـاوية ..

لابد اننا نقلنا اذن ، اشخاصا وامتعة ، الى هذا « البيت الابيض » المتشابه : فى خلال ساعات نومنـا فى ليلتنـا الاولى ..

نقلنا جميعا ومعنا صورة والدة اليس التى كانت موضوعة على رف المدفأة ؛ ونفس اقفال ابواب غرفنـا حيث كانت الاقفال ، وحتى نفس شظايا زجاجة الويسكى التى حطمت فى تلك الليلة على تلـــك الصورة التمثيلية البـــارعة فوق جدار المدفأة فى البيت الاصلى ــ نقل هـــذا كله الى البيت المتشابه ، امعانا فى ايهامنا باننا فى نفس البيت الاصلى اذا طلع النهـــار .

فقـال رينـاغ باسما :

ــ ياله من خيـال خصب رائع ! .

فقال مارتن دبل :

ــ وانها لخطة بديعـــة محبوكة الاطـراف ، تشف عن العبقرية والتفرد ! . بل انها كانت متسقة مع المنطق حالما وفقت الى مفتاح حلها .. انظروا معى ! . ما دمنا قد نقلنا ليلا دون علمنـا فمعنى هذا ان مهمة النقل تمت ونحن غائبون عن الرشد .. ولقد تذكرت الى ونورن لم يتنـاول كلانا من

الشراب سوى كأسين ، شعرنا بعدهما فى الصباح بصداع وخدر فى اللسان .. فأيقنت ان هذا وليد مادة مخدرة خفيفة .. وقد اعد الشراب فى الليلة السابقة بيد الدكتور ريناخ طبيب وعقاقير المعنى بسيط ظاهر للعيان ! .

فراح الدكتور ريناخ ينظر متفكها الى ضابط البوليس القوى ، بيد ان هذا لبث فى مكانه جامدا عابسا ، بينا استرسل مارتن ديل قائلا :

ـ لكن هل فعل الدكتور ريناخ كل هذا وحده ! .. كلا .. مستحيل ! .. فرجل واحد لا يستطيع ان يتم هذه المهمة الكبيرة فى ساعات قلائل محدودة . وبعبارة اوفى لا يستطيع وحده ان يعد سيارة تورن ، ثم ينقلنا مع حقائبنا وملابسنا بالسيارة من (البيت الأبيض) الأصلى الى شبيهه وشبيهه لم يدخل السيارة الى « الجراج » ، ثم يحملنا الى غرف نومنا ، ثم يرتب ملابسنا فى مواضعها الاولى ، ثم ينقل الصورة وشظايا الزجاج الى مكانها المماثل .. وهكذا .. وهكذا .. هى عملية ضخمة حتى ولو اعد شطر كبير منها قبل مجيئنا .. ولا ريب انها من عمل افراد متعددين مجتمعين .. او من عمل شركاء متعاونين .. ومن يكونون الا من بالبيت جميعا ؟ . باستثناء العجوز سارة التى لا يعقل ان لها مصلحة مفهومة فى كل هذا ..

ثم اردف مارتن ديل وقد لمعت عيناه :

ـ واذن فانى اتهمكم جميعا ، ومعكم كيث الذى احسن صنعا باقلاته ، اتهمكم بالاشتراك فى المؤامرة المدبرة لمنع الانسة هيوز من الاستيلاء على البيت الذى اخفيت فيه ثروة ابيها ! .

قال الدكتور ريناخ وقد شبك يديه فوق صدره :

ـ ما ابدع هذه القصة الخيالية التى لم ار مثيلا لها فى عالم القصص ! . ولا ريب ياكابتن انك لا تصدق هذه الرواية المختلقة ؟ وعندى ان مستر ديل فقد صوابه ، بتأثير خيال عارض .

فتنهد مارتن ديل قائلا :

ـ هذا كلام لا يليق بك يادكتور .. ان الدليل على صحة كلامى هو اننا هنا ، فى هذه اللحظة

فقال رئيس البوليس الذى لم يفهم تماما :

ـ عليك ان تفسر لنا هذا ..

ـ اعنى اننا الان فى « البيت الابيض » المتشابهة .. والواقع اننا لم نكد نرحل هذا المساء حتى عاد هؤلاء جميعا الى هنا .. فان البيت الابيض المتشابه قد ادى مهمته وامسوا فى غير حاجة اليه .

والان استمعوا لهذه الخدعة الجغرافية .. فان كلا البيتين الابيضين له طريق سيارات يتفرع من الطريق الرئيسى ، واحدهما يتفرع قبل الثانى بنحو ستة اميال .. ولما جاء بنا الدكتور ريناخ من رصيف الميناء تجاوز عامدا طريق السيارات المؤدى الى البيت المتشابه دون ان نفطن اليه ومضى فى سيره حتى جاء بنا الى هنا .. اى الى البيت الاصلى .

وقد عطلت سيارة تورن عمدا للحيلولة دون قيادته اياها .. فان قائد السيارة يرى ويحفظ من معالم الطريق مالا يراه الركاب .. بل ان كيث رافق تورن فى زيارتيه الاوليين لسلفستر هيوز لارشاده الى الطريق « ظاهرا » ولتحويل نظره عن معالمه « حقيقة » .

ثم ان الدكتور ريناخ هو الذى قاد بنا السيارة الى هنا يوم وصولنا .

وقد سمح لى بقيادة السيارة هذه الليلة فى رحلة كانوا يرجون الا رجعة بعدها لاننا بدانا الرحلة من البيت المتشابه وهو الاقرب اتصالا بالطريق الرئيسى وبالبلدة .

وكذلك لم يكن ثمة خوف من ان نمر « بطريق السيارات » الاخر فتثار شكوكنا .. وكانوا مطمئنين الى اننا لفرط انشغالنا ان نفطن الى قصر مدى الطريق نسبيا .

فقال رئيس البوليس :

ـ لكن حتى اذا سلمنا بكل هذا ، فلست ارى فائدة يجنونها من ورائه ·· اذا ما كان لهم ان يطمعوا فى خداعكم والتغرير بكم الى الابد

فهتف مارتن ديل قائلا :

ـ صحيح ·· لكن لا تنس انهم كانوا يأملون الا نفطن الى حقيقة الخدعة الا وقد وضعوا ايديهم على ثروة سلفستر واختفوا بها ·· الا ترى ان الخدعة كلها قامت على الرغبة فى كسب الوقت ؟ ·· الوقت اللازم للتنقيب فى داخل « البيت الأسود » المجاور لوجد تموه الان خرائب وانقاضا من الداخل . وهذا هو تفسير اختفاء كيث وريناخ المتكرر فقد كانا يتناولان الاختلاف الى « البيت الاسود » ينبشان ويحفران بحثا عن مكان الكنز الذهبى ، بينما نحن باقون فى « البيت الابيض » المتشابه تستغرق اهتمامنا ظاهرة خارقة شاذة ·· ولعل فى هذا تفسير حادث الاعتداء على الالفابة بالورن ، اذ تسلل شخص ما ـ لعله الدكتور

ريناخ ـ من تحت الفك ولطمنى فوق راسى حين سولت لى نفسى ان اقتفى آثار كيث فى الثلوج .. فانه كان لابد من منعى من الوصول الى « البيت الابيض » الاصلى ، والا انكشف الخداع .

فقال ثورن مزمجرا :

ـ واين الذهب الان ؟ ..

فهز مارتن ديل كتفيه قائلا :

ـ اعتقد انهم وجدوه وحملوه الى مكان ما ،

فقالت مدام ريناخ نادبة مولولة :

ـ لكننا لم نجده ! .. الم اقل لك ياهربرت ان ..

فانتهرها الزوج قائلا :

ـ يامغفلة ! .. يابهيمة ! ..

فقال رئيس البوليس مخاطبا ريناخ :

ـ الآن كنت لم تجد الذهب ، فلم تركت هؤلاء الثلاثة يذهبون الليلة ؟ ..

فلم يجب الطبيب ، بل تشاغل باحتساء كاسه ·· فتبرع مارتن ديل بالجواب قائلا :

ـ ان الجواب على هذا هو اساس القضية .. بل هو شر عنصر فيها وافدح جانب منها .. وما كان الخداع الذى وابتنوه الا عبثا بالقياس اليه .. لأنه يشمل مسألتين لاعلاقة بينهما فى الظاهر ، اعنى « اليس هيوز » وجناية قتل ..

فقال رئيس البوليس :

ـ جناية قتل ! ؟ .

وقالت اليس في اضطراب : يشغلني ! ؟ .

فاشعل مارتن ديل سيجارة والتفت الى رئيس البوليس قائلا

ـ حينما وصلت اليس هيوز معنا في اليوم الاول ذهبنا جميعا الى « البيت الاسود » .. وقد عثرت في غرفة والدها على صورة قديمة تمثل امها في صباها ـ وانا لا ارى الان هذه الصورة هنا ، ومعنى هذا انها لا تزال في البيت الابيض المتشابه .. وما كاد يقع نظر اليس على الصورة حتى انقضت عليها انقضاض الجائع على الطعام ، معللة هذا بانها لا تمتلك غير صورة واحدة قديمة لأمها ، وقد بلغ من اعتزازها بهذه اللقية الجديدة التي عثرت عليها من حيث لا تحتسب ؛ انها حملتها معها من فورها الى البيت الأبيض اي الى هذا البيت .. وقد وضعتها على رف هذه المدفأة في مكان ظاهر ..

على انها حينما هربت معنا من البيت المتشابه في هذه الليلة هروبا كان يبدو الا رجعة بعده « تجاهلت كل الجهل صورة امها » ، ذلك التذكار العزيز الذي كادت تجن به فرحا في اليوم الاول وما كان يصح انها نسيته في اضطراب الموقف ان ساغ هذا التعبير ، وهي قد وضعت حقيبة يدها على رف المدفأة قبل خروجها ببرهة وجيزة الى جانب الصورة .. بل انهـــا عادت على الاثر الى الرف لاسترجاع حقيبتها ، ولكنها تجاوزت الصورة واخذت الحقيبة وحدها دون ان تلقي عليها نظرة وما دامت قد قررت بلسانها من قبـــل ان الصورة عندها قيمة ادبية لا تقدر ، فقد كان ينبغي الا تغفل عنها اطلاقا وان تكون اخر شيء تنساه .. بل ما دامت قد اخذت الصورة في اول مرة فقد كان يجدر ان تاخذها عند الرحيـــل ! ...

فلم يتمالك لورن ان هتف به قائلا وهو يحملق في وجه الفتاة التي جلست مسمرة في مقعـــدها لا تكاد تتنفس : ماذا بالله تقصد بهذا الكلام ؟ !

فاجاب مارتن ديل في ايجاز : اقصد اننا اصبنا بالعمى .. .. اقصد ان التضليل لم ينحصر فقط في ابدال بيت ببيت بل تجاوزه الى ابدال امرأة بامرأة .. انني اقرر ان . هـــذه الفتـــاة ليست هي اليس هـــوز ! . »

فخيم سكون مطبق لم ينبس خلاله احد ببنت شـــفة ولم يبدر فيه ادنى حركة .. وما لبثت الفتاة في نهايته ان رفعت نظرها وقالت وهي تنهد بقوة :

ـ انني فكرت في كل شيء الا هذه المسألة .. وقد كان كل شيء يسير على اجمل ما يرام ..

فقال مارتن ديل بلهجته الساخرة الخفيفة :

ـ الواقع انك تجدت في استغفالنا الى ابعد حد .. وما ذلك الموقف التمثيلي الذي حدث في غرفتـــك امس الا مصداقا لكلامي .. اني اعلم الان ما حدث .. فان الدكتور رنتاج قد ذهب خلسة الى غرفتك في منتصف الليل لابلاغك تطورات البحث والتنقيب في البيت الاســود ، او ربمـــا لاقناعك بوجوب الالحاح على لورن وعلى الرحيل اليوم مهمـــا يكن الثمن .. وقد تصادف مروري في البهو في تلك اللحظة حيث عثرت قدمي في الظلام واصطدمت بالجدار في صـــوت مسموع .. واذ كنتما لا تعلمان مصدر الصوت او من يكون فسرعان ما اصطنعتما ذلك الموقف التمثيـــلي البارع .. ان المسرح خسر فيكما ممثلين مجيدين ..

تجلس الدكتور ريناخ مغمض العينين .. اما الفتاة فتحدثت في لهجة الاعياء والتحدى :

ـ الواقع يا مستر ديل انى قضيت بضعة اعوام من حياتى على خشبة المسرح ..

ـ كلاكما شيطان مريدا .. وما كانت هذه المؤامرة الجهنمية الا ثمرة الخيال الشرير والعقلية الآثمة .. ولقد كنت تعلمين ان اليس هيوز غير معروفة لاحد هنا الا بصورها .. وفوق ذلك فهناك مشابهة قوية بينك وبينها كما شهدت بذلك الصور .. وكنت مطمئنة الى ان اليس هيوز لن تبقى فى صحبتى مع تورن اكثر من ساعات قلائل اغلبها بين جدران السيارة القائمه ..

وغير مارتن ديل لهجته .. فراح يقول فى صرامة : ان « اليس هيوز » جاءت لأول مرة الى هذا البيت واختفت حين صعدت الى غرفتها مع مدام ريناخ .. ونزلت انت بدلها تمثلين دورها وتتقمصين شخصيتها .. انت التى اختفيت عمداً من عينى تورن طيلة الايام الستة الماضية لكى لا يعلم شيئا من وجودك ! .. انت التى استنبطت فى اغلب الظنون هذه المؤامرة الشيطانية حين جاء تورن بصور «اليس هيوز» ورسائلها المفصلة الى هنا ! .. انت التى كان لك من مشابهتك الطبيعية لاليس هيوز ما هيأ لك انتحال شخصيتها بنجاح فى نظر شخصين غريبين عنها !

واصارحك انك بدوت غريبة فى نظرى الى حد ما عند نزولك لتناول طعام العشاء فى تلك الليلة ؛ بيد انى قدرت ان اختلاف مظهرك اليسير راجع الى تغيير هندامك وتجملك بعد طول السفر .. وطبيعى انى كلما رايتك بعد ذلك بعد العهد بينى وبين « اليس هيوز » الحقيقة وقل احتمال

شكى فى شخصيتك .. ولم يكن ثمة من خطر عليك الا من ناحية العجوز سارة ، التى قدمت لنا مفتاح اللغز كله حين رايناها لأول مرة .. فانها حسبتك ابنتها «اوليفيا» ولها الحق كل الحق .. فانك « الانت ابنتها اوليفيا » !

❋ ❋ ❋

راح الدكتور ريناخ يرشف كأسه فى غير اكتراث تام .. وجلست العجوز تحدج الفتاة ببلاهة .. بينما مضى مارتن ديل يقول :

ـ بل انك توقيت هذا الخطر اذ عهدت الى الدكتور ريناخ ان يحدثنا فى الوقت المناسب عن اوهام العجوز سارة وعن تلك القصة الزائفة التى دارت حول وفاة « اوليفيا » فى حادث سيارة منذ اعوام .. فيجا للبراعة .. والواقع ان الخداع كان تاما بالغا حد الكمال الى حد ان العجوز نفسها انخدعت بالاختلاف فى صوتك وشعرك وهما عاملان بارزان فى اثبات الشخصية .. واؤكد لك ان هذه البراعة الخارقة كانت جديرة ان تستأثر باعجابى ، لولا شيء واحد .

فقالت اوليفيا بهدوء : انك داهية جبار .. ماذا تعنى ؟

فدنا مارتن ديل منها ووضع يده على منكبها قائلا : ان اليس هيوز اختفت واخذت انت مكانها .. فلم فعلت هذا ؟ الجواب ؛ لسببين .. الاول : لابعادى انا وتورن عن منطقة الخطر فى اقرب وقت ، والعمل على استمرار بعدها بعدولك عن المطالبة بالميراث او استغنائك عن خدماتنا والثانى ابلغ من الاول أهمية ، وينحصر فى هذا .. فانه اذا لم يفلح شركاؤك فى ايجاد الكنز الذهبى بقيت شخصيتك المنتحلة بوصفك اليس هيوز ، وتسنى لك ان تتصرفى فى « البيت الاسود » كما تشائين .. واذا وجد الذهب كان لك ولشركائك خالصا .

على انه لم يكن بد لضمان استيلائك على ميراث « اليس هيوز » ان تبقى صاحبة الشخصية الحقيقية مختفية الى الابد .. ان تموت ! ..

واختتم مارتن ديل كلامه وهو يقبض على منكب الفتاة قائلا :
وهذا ما جعلني اقول ان هناك مسألة لابد من تسويتها غير اختفاء البيت .. فان « اليس هيوز » قد قتلت ..

في هذه اللحظة سمع في الخارج صياح متعال ما لبث ان انقطع كما بدا .. بينما اردف مارتن ديل قائلا : قتلت « اليس هيوز » بيدي ذلك الشريك الذي لم يكن في البيت حين نزلت هذه المخادعة العشاء في تلك الليلة الاولى .. اعني ديك كيث ، ذلك القاتل المأجور ، وان يكن هؤلاء جميعا شركاء في جناية القتل ..

واذ ذاك صدر صوت من النافذة يقول : ما هو بقاتل مأجور
فاستداروا جميعا فجأة مشدوهين .. فقد راوا رجال البوليس الثلاثة الذين وثبوا من النافذة منذ امد قصير ، واقفين عن كثب منها ، وامامهم رجل وامراة .. وقد راحت المراة تقول :

— ما هو بقاتل مأجور ! فذلك ما كانوا يحسبونه ! .. لكنه بدلا من ان يكون قاتلا ، وبغير علمهم ، انقذ حياتي .. رعاك الله يا ديك ! .

وسرعان ما اغبرت وجوه المتآمرين .. فقد وقفت « اليس هيوز » بجانب كيث وكانت صورة مقاربة للفتاة الجالسة بداخل الغرفة ، الا في بعض الفوارق الظاهرة .. وقد بدت نحيلة عابسة ، ولكنها كانت تتأبط ذراع ذلك كيث في سعادة بالغة .

الخاتمة

قال مارتن ديل لصديقه نورن بعد ان تهيأ لهما الوقت لاستعراض هذه القضية الغريبة وفهمها على حقيقتها :
— الواقع ان المؤامرة كلها ما كانت لتتم لولا شيئان : شخصية « اوليفيا » ووجود ذلك البيت الابيض المشابه في الغابة .

وكان يسوغ لبطلنا مارتن ديل ان يقول ايضا ان المؤامرة ما كانت لتتحقق لولا تلك اللوثة اللاعقلية الغريبة ، الوراثية في اسرة هيوز ! .

فان والد سلفستر هيوز — وما كان الدكتور رنباخ الا ربيبه — كان بعقله خلل ورثه عنه ولداه التوأمان : سلفستر وسارة ، اللذان كانا ابدا متحاسدين متنافرين .

ولما تزوجا في شهر واحد تحاشى ابوهما الخلاف بان اهدى كلا منهما بيتا بنى خصيصا لهذه المناسبة وجعل البيتان متشابهين متطابقين ، ظاهرا وباطنا ، وقد اقيم احد البيتين قرب بيت الاب واهدى الى سارة لمناسبة زواجها ، واقيم البيت الثاني في قطعة ارض يمتلكها الاب على مسافة اميال من الاول واهدى الى سلفستر .

ولما توفي زوج ساره في ربيع حياتهما الزوجية انتقلت للاقامة مع اخيها التبني : الدكتور رنباخ .. وبعد وفاة هيوز الاب اوصد سلفستر بيته الخاص وانتقل للاقامة في بيت العائلة .

وكذلك قام البيتان المتشابهان اثرا ناطقا بشذوذ افراد هذه الاسرة ، لا يفصل بينهما سوى اميال معدودة ، وكلاهما مزود بالاثاث الكامل المتشابه ! .

ثم وسوس الشيطان لأوليفيا ذات المكر والدهاء وسول لها ما سول ! فاغرت من معها بالانتقال الى البيت الابيض المجاور للبيت الاسود لمضايقة سلفستر هيوز او للسطو عليه .

ولما جاء نورن بنباه فتاة سلفستر بعد طول احتجابها فطنت اوليفيا الى الخطر الذى يهدد خطتها حتى اذا انتبهت الى المشابهة الفريدة بينها وبين ابنة خالها الانجليزية ، نبتت فى ذهنها تلك المؤامرة الشيطانية الفريدة .

وكانت الخطوة الاولى فى سبيل التنفيذ هى اغراؤها الدكتور ريناخ بقتل مريضه سلفستر قبل وصول ابنته .. وقد اثبت التشريح الطبى الذى اجرى فى جثة سلفستر عند استخراجها من القبر فيما بعد ، انه راح مسموما .. وفى خلال ذلك راحت اوليفيا تتدرب على خطة المشابهة والانتحال التى اعدتها ..

ولم تفكر « اوليفيا » فى « خداع البيوت » الا تضليلا لعينى نورن ، حتى ينشغل بهذه الظاهرة بينما يدور البحث والتنقيب فى جوانب « البيت الاسود » طلبا الذهب .. وما كان هذا الخداع الا مهمة سهلة ويسيرة والبيت الابيض المشابه موجود وقائم تام الاثاث .. وما كان يقتضيها الا ان تقته للهواء والشمس وان تتولاه بالنظافة والعناية .. وقد انفسح امامها الوقت لاتمام هذه المهمة قبل وصول اليس هيوز ..

على ان نقطة الضعف فى هذه المؤامرة البارعة تجلت بعد ذلك فى اختيار دلك كيث للقضاء على اليس هيوز ..

وقد انضم هذا الشاب العملاق الى زمرة المتآمرين كمغامر لا يتردد فى القيام بكل ما يراد منه متى استؤجر بسخاء .. على انه لم ينضم اليهم اعتباطا ، فانه كان ابن زوجة سلفستر الثانية التى اضطهدها وعذبها حتى فرت منه مع ولدها ثم باتت بعد ذلك فى فقر وبؤس اليتيم ..

ولم تمت الام فى الواقع حتى غرست فى صدر كيث بذور الحقد على اسرة هيوز ، وان يكن هذا الحقد قد تلاشي من نفس الفتى بمر الاعوام ..

وكان كيث يرمى بانضمامه الى عصبة المتامرين الى البحث عن ثروة زوج امه واسترداد حصته الشرعية من هذه الثروة التى اغتصبها سلفستر من امه فى حياته ، ولم يضمر هذا الشاب قط ان يقتل « اليس هيوز » كما زعم لرفاقه ظاهرا ..

والواقع انه حين حملها من البيت فى تلك الليلة الاولى تحت انف نورن وهارلن ديل لم يفعل ذلك بقصد اغتيالها واخفاء جثتها كما لقنته اوليفيا من قبل ، بل لكى يخفيها فى كوخ قائم بين الغابات المجاورة لم يكن يعرفه الا هو ..

وكان يختلس الفرص لتهريب الطعام اليها وهو يقوم بنوباته فى التنقيب فى « البيت الاسود » وكان يعاملها فى اول الامر معاملة الاسيرة معتزما ان تمضي فى هذا المسالك حيالها حتى يوفق الى ايجاد الذهب او اخذ نصيبه منه ثم يركن الى الفرار ..

بيد إنه ما لبث ان وقع فى شراك غرام اسيرته ، وبا لها بقصة المؤامرة من الفها الى يائها .. وقد زالاته رقة

الفتـاة وعطفهـا عليـه شجاعة ، فاقنعها بلزوم مكانها حرصا على سلامتهـا حتى يوفق الى إيجاد الكنز وخداع شركائه ، ثم يواجها أوليفار معا ويفضحا حقيقتهـا ..

على ان وجه السخرية ، كمـا قال مارتن ديل ؛ هو ان الهدف الذى قام عليه كل هذا التآمر ، وهـو الكنز الذهبى الذى خفاه سلفستر هيوز ، بقى محجوبا عن العيـان ، بعيـدا عن طائلة الايدى .. فانه رغـم البحث والتنقيب الدقيقين فى « البيت الاسود » ، وما جاوره لم يتسن الاهتداء الى الذهب المرموق ..

فقـد قال مارتن ديل باسـما وقد اجتمع باصـحابه بعـد بضـعة اسابيع :

ـ انى دعوتكم الى مسكنى المتواضع بعد ان خطر لى راى وجـدت المنطق يقضي بتحقيقه وتمحيصه ..

فراح كيث واليس ولورن يتبادلون النظر فى سكون وقد استقروا فى مقاعدهم .. وما لبث كيث ان قـال باسـما :

ـ يسرنى ان اجـد عندك رايا فى الموضـوع .. فانى فى فقر مدقع .. واليس تفوقنى فقرا .. !

فقال مارتن ديل فى جفـاء :

ـ انك لا تنظر الى المال تلك النظرة الفلسفية التى عهدناها فى الدكتور ريناخ .. سامحه الله .. ترى كيف وجد طعـم السـجن ؟! ..

الآن لنتكلم فيما دعوتكم اليه .. فانه بعد ان لم نجد اثرا لذلك الذهب المزعوم ، لم يبق الا ان نعالج الموضوع بأسلوب آخر .. هل ينقص الآن من بيت سلفستر هبوز شيء كان موجودا به حال حياته ؟ .

فنظرت اليس الى اللفافة الموجودة في حجرها قائلة : اذن هذا هو الذي حملك على ان تطلب الى استحضار هذه الاشياء معي اليوم ..

وهتف كيث :

– تعني ان سلفستر قد تعمد تضليل الاذهان حين صرح ان ثروته مؤلفة من الذهب ؟

فضحك مارتن ديل وتناول اللفافة من الفتاة وفكها ولبث برهة يتأمل الصورة الكبيرة ذات الاطار التي تمثل والدة اليس في صباها .. وما عتم اخيرا ان نزع ظهر الاطار في حركات الواثق المطمئن ، فاذا اوراق ملونة زاهية تتساقط في حجره ، واذا هو يقول باسما : ثروة من اسهم ومستندات .. !! من قال يا آنسة ان اباك كان مختل العقل ؟ انه كان آية في العقل وبعد النظر ..

هلم بنا يا كورن ، ولندع هذين الخطيبين السعيدين المجدودين وحدهما !

تمت